

## خصيصة الاحتياط للمعنى النَّصِّي

بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة وأثرها على المجتمع

(دراسة بلاغية)

عبد الهادي أحمد سيد عبدالعال

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل

إيمان خطاب حميضان الشمري

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل



## خصيصة الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة في سورة البقرة وأثرها على المجتمع (دراسة بلاغية)

عبد الهادي أحمد سيد عبدالعال  
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل  
إيمان حطاب حميضان الشمري  
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٤/٦/٢٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٥/٨/١٠ هـ

### ملخص الدراسة:

يعمد هذا البحث يعمد هذا البحث إلى دراسة خصيصة الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة وأثرها على المجتمع؛ حيث إن إفادة المعنى تقتضي وضوح القصد وتجنب الخطأ، وذلك إنما يكون بتمامه، وإزالة اللبس والإبهام والاحتمال عنه، فالاحتياط لا يأتي من فراغ، إنما هو لغاية تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض، ومن هنا كان بحاجة إلى دراسات مستقلة؛ لكشف أسرارها، وسبر أغوارها، والوقوع على مقاصده، وبيان أوجه الإعجاز فيه، ومن ثم تأتي أهمية هذه الدراسة من أنها تُظهر اهتمام القرآن الكريم بالمعنى، والاحتشاد له، وتحديد بدقة متناهية، وتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوج، وصونه من كل ما يؤهم النقص. وقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع المواضع في سورة البقرة، وتحليلها، ومحاولة كشف أسرارها، والوقوع على مقاصدها ومراميتها، وبيان دورها في سياقها وفي المجتمع. ومن أبرز نتائجه: أن الاحتياط للمعنى النصي أسلوب أتبعه العرب لتحقيق أغراض متعددة. أن وضع المظهر موضع المضمرة من وجوه الاحتياط للمعنى عند العرب. أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمرة يأتي لتحقيق أغراض متعددة، منها: تمكين المعنى، والتعظيم، والتحقيق، وإزالة اللبس، وإفادة العموم، والتنبيه على علية الحكم إلخ.

الكلمات المفتاحية: الاحتياط - المعنى النصي - المظهر - المضمرة - بلاغية.

## **The precautionary characteristic of the textual meaning by placing the appearance in the place of the pronoun in Surat Al-Baqarah and its impact on society (rhetorical study)**

**Dr. Abd al-Hadi Ahmad Sayed Abd al-Aal**

Department of Arabic Language, College of Letters and Arts  
University Of Hail

**Iman Hattab Humaidan Al-Shammari**

Department of Arabic Language, College of Letters and Arts  
University Of Hail

### **Abstract:**

This research aims to study the precaution of the textual meaning by putting appearance in the place of the pronoun in Surat Al-Baqarah and its impact on society. Since clarifying the meaning requires clarity of intention and avoidance of error, and this alone is complete, and removal of ambiguity, ambiguity and possibility regarding it, caution does not come from a vacuum, rather it is an end necessitated by the circumstances of saying that. that it does not deviate from intent or be obscured by ambiguity or referral and ambiguity, hence the need for independent studies; Revealing its secrets, exploring its depths, defining its purposes, clarifying aspects of its miraculousness, and the importance of the study is that it shows the Qur'an's interest in the meaning, filling it in, defining it very accurately, purifying it from all its possibilities that may be tempted by deviant interpretations and twisted understanding, and protecting it from everything that misleads. Shortage. The research relied on the descriptive analytical approach based on surveying and analyzing situations, trying to uncover their secrets and purposes, and explaining their role in their context and society. To enable the meaning, glorify, remove confusion, and alert to the greatest judgment, and so on.

**Keywords:** Precaution- meaning- appearance- pronoun – rhetoric.

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رفع العربية، وأعلى شأنها، وشرفها على سائر اللغات، فأنزل بها خير كتبه وأفضلها، قال سبحانه: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [يوسف: ٢]، وقال: **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** [الشعراء: ١٩٥]، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد، فإنه من البين الجلي أن بيان كل مبین على مقدار علمه بما يبين عنه، وبمقدار اقتداره على الإبانة عنه، فانظر كم يكون كمال وجمال وجلال وإعجاز بيان الله - عز وجل - الذى وسع كل شيء علما، والذى هو على كل شيء قدير<sup>(١)</sup>، يقول الحرّالي: "اعلم أن بلاغة البيان تعلق على قدر المبین، فعلقو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه، وبيان كل مبین على قدر إحاطة علمه"<sup>(٢)</sup>، ولهذا كان بيانه تعالى تاما، وكان معجزاً؛ فكثرت الدراسات حوله، ومع هذا فإنه مازال وسيظل نبعاً ثراً لا ينضب معينه، بكرّاً في ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه ووسائله وغاياته، يحوم حوله العلماء من كل جيل، فيلتقطون من جواهره بعض الفرائد، ويرتشفون من جليل هديه وتوجيهه بعض القطرات، ليستمر مطلوب التدبر، ومُنْاط التأمّل، لا سبيل عليه ليد الزمن

(١) شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم، أ د / محمود توفيق سعد، ص ٣، الطبعة: الأولى، دار الوفاء للطباعة - شبين الكوم - ١٤٢٢ هـ.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦٨/١، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

وحوادثه مما تبليه أو تستجده، إنما هو روح من أمر الله - تعالى - هو منزله وحافظه<sup>(١)</sup>.

ومن البين المركوز في الطباع، المعلوم يقينا، أن لكل لغة أسسها، وقواعدها العلمية التي تنهض عليها في جوانبها المختلفة (النحوية، والصرفية، والصوتية، والبلاغية، والمعجمية...)، غير أن العربية قد تفرّدت بخصائص تعبيرية انمازت بها عن غيرها، فبرزت جميع اللغات، وتهيأت لحمل كلام الله المعجز إلى عباده، من هذه الخصائص خصيصة الاحتياط للمعنى<sup>(٢)</sup>؛ حيث إن إفادة المعنى تقتضي وضوح القصد وتجنب الخطأ، وذلك إنما يكون بتمامه، وإزالة اللبس والإبهام والاحتمال عنه، ومن ثمّ فبدهي أن يحتاط المتكلم لكلامه ويحتشد لمقصده، فيقيده بقيود لفظية أو معنوية تكون صارفةً للذهن أن يُظنّ غير المراد، فاحتياط المتكلم لمعناه لا يأتي من فراغ، إنما هو لغاية تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض، ومن هنا كان الاحتياط للمعنى وبخاصة في القرآن الكريم بحاجة إلى دراسات مستقلة في شتى جوانبه وصوره نحويا وصرفيا وصوتيا وداليا وبيانيا؛ لكشف أسراره، وسبر أغواره، والوقوع على مقاصده، وبيان أوجه الإعجاز فيه، فضلا عن كونه دليلا على فطنة المتكلم ودكائه بإيضاح ما قد يخفى، وإتمام ما يُؤهم النقص...، ومن ثمّ

(١) ينظر في ذلك: متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير، عبدالمهدي أحمد سيد عبدالعال، ص (أ)، "ماجستير" مخطوط في كلية اللغة العربية بأسبوط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٢) تلك الخصيصة التي أفرد لها ابن جني بابا في كتابه (الخصائص) بعنوان باب الاحتياط، وذكر أن وجوهه في الكلام كثيرة ومتنوعة ينظر: الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ١٠/٣، الطبعة: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

تأتي أهمية الدراسة من أنها تُظهر اهتمام القرآن الكريم بالمعنى، واحتشاده له، وتحديدِه بدقة متناهية، وتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوّج، وصونه من كلّ ما يُوهم النقص، فضلاً عن كونها تستند على ما ورد في فصيح اللغة ومُعجِبِ كلام العرب مما يدلّ على احتياطهم للمعنى واستخدامهم هذه الخصيصة في كلامهم.

ولهذا كان اختيار خصيصة الاحتياط للمعنى في سورة البقرة بصورة واحدة من الصور التي يأتي بها، وهي صورة (وضع المظهر موضع المضمّر)، ودراستها بلاغياً، لمحاولة الكشف عن أسرارها والوقوع على دلائل وبدائع إعجازه ومعالم هديه فيها، فضلاً عن أنه لم توجد رسالة علمية متخصصة تعالج موضوع الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمّر بلاغياً في سورة البقرة أو في القرآن كله من جميع جوانبه ومتطلباته، وتتناول كل جزئياته.

ولكل بحث طبيعته التي تفرض على الباحث منهجاً معيناً وخطة يتوقف وضوحه لقارئه على مدى ملاءمتها لموضوع البحث، ووفائهما بما يريده الباحث، ومن ثم فقد اعتمدنا فيه المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع المواضع في سورة البقرة (التي بلغت اثنين وتسعين موضعاً)، وتحليلها، ومحاولة كشف أسرارها، والوقوع على مقاصدها ومراميتها، وبيان دورها في سياقها وفي المجتمع، وعليه فقد قسمنا صور الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمّر في سورة البقرة حسب أغراضها المؤمّنة إلى سبعة مطالب تسبقها مقدمة، وتمهيد، وتعقبها خاتمة، على النحو التالي:

أما المقدمة فقد ذكرنا فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته والمنهج الذي سرنا عليه فيه، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فتحدثنا فيه بإيجاز عن الاحتياط مفهوماً ودلالة.

وأما مطالب البحث فهي كما يلي:

المطلب الأول: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير لقصد الاعتناء بشأن المظهر تعظيماً لشأنه.

المطلب الثاني: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير لإزالة اللبس أو التوسل من الظاهر إلى الوصف.

المطلب الثالث: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير؛ للترغيب في الشيء وزيادة الحث عليه.

المطلب الرابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير؛ للتحذير من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه.

المطلب الخامس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير؛ لتعيين المقصود بالذات، أو لإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم سابقتها.

المطلب السادس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير؛ لزيادة التقرير والتمكين.

المطلب السابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمير؛ للتنبيه على الترتيبية وعينية الحكم، أو مناسبة استقلال الجملة بمدلولها.

أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الأهداف:

- التعرف على حقيقة الاحتياط للمعنى والأسباب الداعية إليه من إزالة اللبس والإبهام والاحتمال عن الكلام...
- بيان أن الاحتياط إنما يكون لغاية تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض.
- رصد الأغراض البلاغية التي تدور حول تصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوجّ، وصونه من كل ما يُوهم النقص.

الدراسات السابقة: لم يسبق إلى دراسة هذا الموضوع فيما نعلم إلا ما يلي:

١- دراسة للباحث/كاظم إبراهيم عبيس جامعة بابل، وهي أقرب إلى العموم والجمع والوجهة الأدبية والوصفية منها إلى الدراسة البلاغية التحليلية؛ إذ جاءت عامة شاملة جميع صور الاحتياط نحويا وصرفيا وصوتيا ودلاليا وبلاغيا، وكانت أقرب إلى الشواهد المتفرقة، يبدو ذلك جليا من عنوان الدراسة: (الاحتياط للمعنى في العربية)، ومن تقسيمها؛ حيث جاءت دراسته في ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول منها للاحتياط الصوتي الصرفي للمعنى، وتناول في الفصل الثاني: الاحتياط النحوي للمعنى، أمّا الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن الاحتياط البلاغي والدلالي للمعنى وقد قسمه إلى ثلاثة مباحث، درس في المبحث الأول الاحتياط للمعنى بأساليب البيان، أما المبحث الثاني فدرس فيه

الاحتياط للمعنى بالتميم والإيغال، وفي المبحث الثالث درس الاحتياط للمعنى بالحمل على المعنى وخصص للحمل على الدلالة الصريحة للفظ، والحمل على معنى العموم، والحمل على معنى الخصوص، ولم يتعرض فيما أعلم من قريب ولا من بعيد لوضع المظهر موضع المضمّر.

فضلا عن كونها (هذه الدراسة) غير مختصة بدراسة الاحتياط في القرآن الكريم، ولا في سورة البقرة بشكل خاص، إنما في العربية بوجه عام.

٢- دراسة للزميلين بكلية التربية جامعة بابل، أ.د/ سعدون أحمد علي الربيعي، د/ كاظم إبراهيم عبيس، تحت عنوان: (الاحتياط للمعنى بالتميم والإيغال)، الذي يظهر جليا من عناونها أنها تتناول الاحتياط للمعنى بالتميم والإيغال؛ حيث تناول فيها جانبين: (أ) الاحتياط بالتميم، (ب) الاحتياط بالإيغال، واكتفيا بشواهد محدودة جدا لا تتجاوز خمسة في كل لون، فضلا عن أنهما لم يقصرا دراستهما في القرآن الكريم، أو يخصصانها بسورة البقرة، ومن ثم فهي بعيدة كل البعد عن الدراسة الحالية، ومختلفة عنها تماما، فأينا حاجة الحديث عن خصيصة الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمّر - على أهميتها - في القرآن الكريم (سورة البقرة خصوصا) إلى دراسة مستقلة تقوم على رصد أغراضه، واستيفاء أسراره وخصائصه (بنية، وتركيبا، وتصويرا، تحبيرا)<sup>(١)</sup>.

---

(١) التحبير: مصدر حبر الكلام والشعر أي: زينة وحسنه ينظر: تحرير التحبير لابن أبي الأصبغ المصري ص ٥٥ تحقيق د/حفني محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٦هـ. ١٩٩٥هـ.

٣- بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية بكلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٦م،  
للزميلين أ.د/ سعدون أحمد علي الربيعي، د/ كاظم إبراهيم عبيس، تحت عنوان:  
(الاحتياط للمعنى بالحمل على المعنى)، الذي بيّننا فيه أن الحمل على المعنى لا  
يصح إلا إذا استحال الحمل على ظاهر اللفظ، خاصة في القرآن الكريم؛  
لحفاظ على ظاهر النص القرآني، وأن ظروف القول قد تقتضي الاحتياط  
للمعنى بحمل اللفظ على معنى العموم أو الخصوص إذا كان الحمل على ظاهر  
اللفظ يولد مشكلاً أو لبساً في المعنى؛ وذلك لدفع اللبس، وتثبيت المعنى،  
وتوضيحه، وهذا ما قام عليه البحث، ومن ثم فلا علاقة له بما نحن بصدد من  
الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمّر في سورة البقرة.

٤- بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا في العدد الثاني والعشرين  
الجزء السابع من العام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م، للدكتورة/ آمال أحمد السيد عامر  
تحت عنوان: (ضروب الاحتياط في اللغة العربية دراسة نحوية) يظهر من عنوانها  
أيضاً أنّها مختلفة تماماً عما نحن بصدد تناوله؛ إذ هي دراسة نحوية صرفة، وغير  
مختصة بالقرآن الكريم، فضلاً عن كونها لا تتناول من قريب ولا من بعيد  
الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمّر، وهذا ما يؤكدّه تقسيم دراستها، التي  
جاءت في فصلين، جاء الأول بعنوان: ضروب الاحتياط اللفظية بالتمييز بين  
الشيء وقسيمه بالعلامات، وتحتّه خمسة مباحث، وجاء الفصل الثاني بعنوان:  
أضرب الاحتياط بالتمييز بين المعاني المتضادة، وتحتّه ثلاثة مباحث، جميعها لم  
يرد فيها حتى مجرد ذكر المظهر والمضمّر، ولا سورة البقرة.

٥- بحث للدكتور/ عرفة عبد الرحمن سلطان مدرس اللغويات في كلية اللغة العربية بـجـرجا ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، في المؤتمر الدولي الثاني لكلية اللغة العربية أسيوط جامعة الأزهر، بعنوان: (خصيصة الاحتياط عند ابن جني وأسرارها النحوية والصرفية)، وهو كما يبدو من عنوانه يتناول الاحتياط وأسراره النحوية والصرفية، وبشكل عام، وعند العلامة ابن جني، ومن ثم فلا علاقة له بما نحن بصدده.

٦- هناك دراسات تناولت أسلوب وضع المظهر موضع المضمرة وأسراره البلاغية على أنه أسلوب بلاغي مستقل، وهذه الدراسات لم يعرض الباحثان لها، ولم يطلعوا عليها، بل ولم يبحثا عنها؛ لأن التناول في هذا البحث مختلف من حيث المنطلق، إذ هذا البحث ينطلق من دراسة الاحتياط للمعنى بصورة من صورته، هي (صورة وضع المظهر موضع المضمرة) وتطبيقها في سورة البقرة، وهذا ما يزعم الباحثان أنه لا يوجد من قام به، أو لم يعثرا على شيء من ذلك.

## تمهيد: الاحتياط مفهوماً ودلالة، والمراد بالمعنى النصي في البحث

الاحتياط في اللغة: من حاطه حوطاً وحياطة، إذا حفظه، وتعهده، واحتاط: بزنة افتعل<sup>(١)</sup>، يقال: احتاط الرجل: أخذ في أموره بالأحزم<sup>(٢)</sup>، واحتاط الرجل لنفسه، أي: أخذ بالثقة<sup>(٣)</sup>، واحتاط للشيء: طلب الأحوط، وأخذ بأوثق الوجوه<sup>(٤)</sup>، ومن ثم فالاحتياط في اللغة يرد بمعانٍ عدة أهمها: الحفظ والصون، والأخذ بالأحزم، والأخذ بأوثق الوجوه، وهو مصطلح فقهي سبق إليه المفسرون، ثم انتقل إلى المباحث اللغوية، وأول من درسه بوصفه ظاهرة لغوية ابن جني في كتابه الخصائص، إذ أفرد له باباً أسماه: باب الاحتياط، ضمّنه نصوصاً لغوية يُحتاطُ فيها للمعنى مخافة الخطأ والزلل، وذكر أن الاحتياط: كل ما أريد به تأكيد المعنى وتمكينه، وهذا ما أوضحه قوله: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له"<sup>(٥)</sup>.

أما في الاصطلاح فقد عُرِفَ عدة تعريفات، جميعها لا تخرج كثيراً عن المعنى اللغوي للفظ؛ إذ عرفه بعضهم بقوله: هو فعل ما يتمكن به من إزالة الشك، وقيل: التحفظ، والاحتراز من الوجوه لثلا يقع في مكروه، وقيل:

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/١٥٧، المكتبة العلمية - بيروت، بدون.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق د/عبدالحاميد هندواي، ٢/٨٤، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ١٦٧، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، ١/١٥٧.

(٥) الخصائص، ابن جني، ٣/١٠١.

استعمال ما فيه الحياطة، أي: الحفظ، وهو الأخذ بالأوثق من جميع الجهات، ومنه قولهم: افعل الأحوط، يعني: افعل ما هو أجمع لأصول الأحكام، وأبعد عن شوائب التأويل<sup>(١)</sup>.

ويمكن لنا أن نعرفه بأنه: أسلوب يلجأ إليه المتكلم لتحديد معانيه بدقة متناهية، فيقيده بما يحفظ ذلك المعنى ويمكّنه في الذهن مُصَقِّمًا كما هو، ويصونه من اللبس والظن والاحتمال وخطأ الفهم، والزلل في التأويل، وذلك أخذًا بأوثق الوجوه، حتى لا يخرج فيه المتلقي عن القصد، أو يصمه بنقصٍ أو غموضٍ أو إهامٍ لعب في سليقته أو فطرته، أو لأيِّ سببٍ آخر. فهو كما ذكر ابن جني: أسلوب اتبعته العرب لتمكين المعنى، والاحتياط له<sup>(٢)</sup>.

ولا يوجد من النحاة - فيما نعلم - من تناول هذا المعنى بلفظ الاحتياط، وإن ما ذكره النحاة فيما يتعلق بهذا المعنى ما هو إلا تسمية للقواعد النحوية، أو تعليل لها، وقد ورد ذلك في مواضع متناثرة في كتبهم، فمنها ما جاء في باب التوكيد، ومنها ما جاء في باب النعت، ومنها ما جاء في باب العطف، ومنها ما جاء في باب البدل، ومنها ما جاء في باب النسب، وغير ذلك من الأبواب.

---

(١) ينظر: الكليات الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ٦١/٣، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص للباحث: فائز طه عمر: ١٤، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد - العراق.

أما ابن جني فقد استعمل - بحسه اللغوي - هذه الظاهرة بمفهوم أوسع مما ذكره النحاة، ورغم ما يبدو من اختلاف ظاهر في الألفاظ غير أنها في مجملها منسولة من قواعد النحاة، وأنها كلها تؤدي مدلولاً واحداً.

أما المعنى النصي المراد في هذه الدراسة، فهو المعنى الواضح الذي انتهى إليه التأمل، مأخوذ من قولهم: "النص: رفعك الشيء، ونص الحديث ينصه نصاً: رفعه، وكل ما أُظهر فقد نص...، والنص: التعيين على شيء ما...، ونص كل شيء: منتهاه..."<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء..."<sup>(٢)</sup>، وعليه فالمقصود بالمعنى النصي هنا: المعنى المراد تبليغه من النص، القائم على فقه الدوال اللغوية مرتبطة بسياقها النصي، الذي تم تحديده بناء على المرجعيات النصية: (السياق اللغوي والسياق المقامي)، والذي أسهمت في تشكيله بنية النص وسياقه وتراكيبه، وتضافرت على كشفه أدواته وعناصره: (صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وأسلوبية)، المعنى الذي هو أكبر من مجموع المعاني الجزئية للجمل المتوالية التي تكوّن النص.

---

(١) مختار الصحاح، للرازي، (ن ص ص)، ولسان العرب، ابن منظور: (ن ص ص)، الطبعة: الأولى، دار صادر - بيروت، بدون.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (نص)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المطلب الأول: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة

لقصد الاعتناء بشأن المظهر تعظيما له

ورد الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة لقصد الاعتناء بشأن المظهر تعظيما لشأنه واعتناء به في خمسة عشر موضعا، في الآيات: (١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١٣٨، ١٤٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ٢١١، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٨٢).

أولها: قوله: **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [البقرة: ١٠٩]، مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...حتى يأتي الله بأمره إنه على كل شيء قدير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر **إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** في موضع (إنه على كل شيء قدير)؛ اعتناء بشأن المظهر، تعظيما وتفخيما له؛ لأن الآية واردة في سياق تحديد أهل الكتاب على كفرهم وعنادهم وحسدتهم وحقدهم (حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ) وإعراضهم عن الحق الذي جاء ممن لا يتوافق مع أهوائهم، وأمر المؤمنين بالعتف والصفح عنهم حتى يقضي الله فيهم بما يستحقون، ومن ثم فالسياق سياق شدة وقوة، وإظهار قدرة وعظمة، ولهذا ناسبه إظهار الاسم الأعظم (الله) اعتناء بشأنه، واحتياطا يلزم المخاطبين حدتهم، تلاقيا مع سياق القدرة، وهذا ما لا يتحقق بالإضمار، فضلا عما فيه من حث المجتمع على ضرورة الصفح وأهميته

وفضله حتى يصدر حكم الله جلّ وعز حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ففي الإظهار احتياط للتعظيم يلزم المضلين الحاسدين حدهم، ويجابه سعيهم رد المؤمنين كفارا حقدا وحسدا، ويناسب سياق القوة وإظهار العظمة والقدرة، وكل هذا تحقق بإظهار الاسم الأعظم في موضع يصح فيه التعبير بالضمير.

ثانيها: قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة: ١١٠] الآية واردة في سياق التشريع، والأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتقديم الخير، والوعد بالإثابة عليه، ومن ثم عبّر بالاسم الأعظم ابتداءً في (تحدوه عند الله)، ثم أظهره بعد ذلك وكان مقتضى الظاهر الإضمار وأن تكون العبارة (... عند الله إنه بما تعملون بصير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر لفظ الجلالة وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ؛ اعتناء بشأن المظهر، وترغيباً لأفراد المجتمع في فعل المأمورات، وترهيباً من مخالفتها، أو النكوص عنها، وتهديدا لمن يتهاون فيها بأن (الله) الجليل سبحانه بصير بكل شيء، ومؤاخذ عليه، وهذا ما ناسبه الإظهار؛ تلاقيا مع سياق التشريع وترغيب المجتمع المسلم في فعل المأمورات وترهيبه من ترك ما شرع الله منها.

**ثالثها:** قوله: **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** [البقرة: ١١٥]، حيث عبر بالمظهر في موضع الضمير، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فأينما تولوا فثم وجهه إنه واسع عليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة والعزة والعظمة (الله)؛ لبيان عظيمته سبحانه، وأنه لا جهة له؛ تنبيهها على سعة ملكه، وإحاطة علمه بمن يتوجه لقصد مرضاته، ومن يُعرض عنها من أفراد المجتمعات كافة، فالله العظيم سبحانه في كل مكان حيث قصده القاصدون، وعلمه محيط بكل شيء، جلٌّ أو دقٌّ، ظهر أم خفي، تلاقيا مع سياق التهكم على تحويل القبلة، والتذرع بها لإنكار الرسالة، وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من سياقات الشدة التي يناسبها إظهار الاسم الأعظم؛ لما فيه من هيبة ورهبة.

**رابعها:** قوله: **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَكِيدُونَ** [البقرة: ١٣٨]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (صبغة الله ومن أحسن منه صبغة...) لكنه عدل عن ذلك ووضع المظهر موضع المضمرة **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً**؛ لقصد الاعتناء بشأن المظهر وتعظيمه، في سياق الرد على اليهود والنصارى الذين كان التعميد مشروعاً لهم؛ لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم، فبين سبحانه للمجتمعات كافة - وبخاصة مجتمعات أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، الذين يحصرون دخول جنة الله في الآخرة على تابعي ديانتيهم - أن إيمان المؤمنين حاصل بصبغ الله وتلويته في الفطرة مع إرشاده إليه، وهو ما لا تساويه - فضلا عن أن تكون أفضل منه

— صبغة من البشر، ومن ثم جاء الاستفهام إنكارياً بمعنى النفي، قال أبو حيان: "هذا استفهام ومعناه: النفي، أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة<sup>(١)</sup>، (ومن أحسن من الله صبغة؟)؛ لتأكيد وتقرير انتفاء الأحسنية، وإثباتها لصبغة الله العظيم سبحانه.

خامسها: قوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ [البقرة: ١٤٣]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان ليضيع إيمانكم إنه بالناس لرؤوف رحيم)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم في موضع الضمير؛ للتعظيم، وبيان أن العظيم (الله تعالى) لا يضيع عنده ثواب الأعمال وإن تحولت الوجهة، ردا على مجتمعات المشركين وأهل الكتاب الذين استهزأوا بحدث تحويل القبلة، وسخروا منه، وزعموا بطلان ما كان من العبادات والصلوات تجاه بيت المقدس، وطمأنة المجتمع المسلم أن العظيم (الله) لا يضيع عنده العمل الطيب، وأنه هو من يثيب عليه، حتى إنه عبّر عن هذا العمل (الصلاة تجاه بيت المقدس)

(١) ينظر: تفسير البحر المحیط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد الحميد النوقي، د. أحمد النجولي الجميل، ٥٨٤/١، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

بلفظ الإيمان وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ<sup>١</sup> ؛ تعظيما لهذا العمل، فضلا عما فيه من التوسل من الاسم المظهر (الله) إلى الوصف الوارد بعده من عدم إضاعة ما فات من صلاة تجاه بيت المقدس؛ تحقيقا وتقريبا للإثابة عليها، الموصلة إلى تحقيق وصفه تعالى بالرفقة والرحمة، الوارد بعد الاسم الأعظم المظهر في الموضوع الثاني (إن الله بالناس لرؤوف رحيم).

سادسها: قوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ<sup>٢</sup> .... [البقرة: ١٨٥] حيث أظهر لفظة (الشهر) بعد ذكره معرفا بالإضافة في صدر الآية، وكان مقتضى الظاهر الإضمار وأن تكون العبارة (...فمن شهده منكم فليصمه)؛ لوجود ما يعود عليه الضمير من غير لبس، ولكن النظم عدل عن ذلك ووضع المظهر (الشَّهْرَ) في موضع الضمير؛ اعتناء بشأن هذا الشهر، تعظيما له، ومن ثم وجب على المجتمع المسلم صومه إلا من استثناهم لسفر أو مرض، قال أبو السعود: "وضع المظهر موضع المضمير للتعظيم والمبالغة في البيان"<sup>(١)</sup>.

سابعها: قوله: أَجَلَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقِثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ

(١) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ٢٠٠/١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ٤٥٨/١، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ.

ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [البقرة: ١٨٧] إذ الأصل أن تكون العبارة (تلك حدوده فلا تقربوها كذلك يبين آياته...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة في الموضعين: (تلك حدود الله)، و (كذلك يبين الله آياته...)؛ اعتناء بشأن المظهر وتعظيمه وتفخيما له، وتحريضا للمجتمعات المسلمة على الالتزام بما شرع، والحذر من مخالفته؛ "لأن في ذكر المظهر من التفخيم ما ليس في المضمّر (١)".

ثامنها: قوله: يَمَعُّونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ٱ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِّلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ أَلْبُرُّ بِأَنَّ تَأْتُوا أَلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ أَلْبُرَّ مَنِ اتَّقَى ٱ وَأَتُوا أَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة: ١٨٩، ١٩٠]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله لعلكم تفلحون، وقاتلوا في سبيله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك في الموضعين وعبر بالمظهر (الله) في موضع المضمّر؛ اعتناء بشأنه سبحانه وتعظيمه له، فضلا عما فيه من دلالة على تفخيم أمر الجهاد في سبيل الله وتعظيمه، وعما يوجبه الكلام في (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) من جلال ومهابة تتلاقى مع سياق نهي المجتمع كله بجميع أفراده عن الاعتداء.

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٤٠١/٧، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر

— بيروت، ١٤٢٠هـ.

تاسعها: قوله: **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** [البقرة: ١٩٤] والأصل أن تكون العبارة (واتقوا الله إنه مع المتقين)، لكن النظم الحكيم أظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**؛ اعتناء بشأنه؛ فضلا عما فيه من دلالة على تعظيم الأمر بالاتقاء، واهتمام المجتمع به حتى في حالة ردِّ الاعتداء، وذلك بالألَّا يزيد عن الحد؛ لأن من شأن رد الاعتداء أن يكون عن غضب، ومن ثم فهو مظنة الإفراط في الرد، لهذا صُدِّرت الجملة ب (اعلموا)، وجاء الكلام مؤكدا (إن الله مع المتقين)؛ إرشادا لهم إلى ما ينفعهم<sup>(١)</sup>، وإيدانا بأهمية ما سيأتي، وأنه مخالف لهوى النفس، وأنه بحاجة إلى معية الله وتوفيقه، وهذا ما ناسبه إظهار الاسم الأعظم.

عاشرها: قوله: **سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَاتِنَا بَيْنَهُ وَمَن يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** [البقرة: ٢١١] التي جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وجحودهم آيات الله تعالى، وكفرهم برسله، من خلال تكرير وتقرير كثرة سوق الآيات إليهم؛ بسبب مراوغتهم وتبديلهم وتحريفهم، وقد ورد ذكر لفظ (آية) في صدر الآية (كم آتيناهم من آية بينة)، ومن ثم كان مقتضى لظاهر أن يأتي التعبير عنها بعد ذلك بالضمير، وأن تكون

(١) ينظر: روح المعاني، ٢٨٥/٥.

العبارة (ومن يبدلها من بعد ما جاءته...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) في موضع الضمير، واصطفى التعبير عنها بلفظ (نعمة الله)؛ ليدل على أن الآيات من نعم الله تعالى العظيمة؛ اعتناءً بشأنها، وتعظيماً لها، وتذكير الأفراد والمجتمعات بها، ولهذا أضافها الله تعالى إليه، قال الألوسي: "وفيه وضع المظهر موضع المضمير بغير لفظه السابق؛ لتعظيم الآيات<sup>(١)</sup>"، ف "النعمة حينئذ من وضع المظهر موضع المضمير؛ ليدل على أنها نعمة إلهية جليلة<sup>(٢)</sup>".

حادي عشر: قوله: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة: ٢٢٥]، حيث عدل عن (وهو غفور حلِيم) إلى الإظهار في سياق امتنانه تعالى بعدم المؤاخذة على الأيمان التي تجري على اللسان من دون قصد، وحلمه بمن اعتادت ألسنتهم على ذلك، ومن ثم عبر بالمظهر (الله) في موضع الضمير؛ اعتناءً بشأن المظهر وتعظيمه، وهو ما يشي بما ينبغي على الفرد والمجتمع من حفظ الألسنة عن الأيمان في غير ما حاجة إليها حتى مع عدم المؤاخذة، فضلاً عما فيه من دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

(١) روح المعاني، الألوسي، ١/٤٩٤.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي، ٢/٢٩٦، دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.

ثاني عشر: قوله: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ  
وَعَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ  
النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى  
الْعَالَمِينَ [البقرة: ٢٥١]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (ولكنه ذو فضل  
على العالمين)، لكنه لما كانت الآية مسوقة مساق الامتنان عليهم وبيان أن  
الكثرة ليست سبباً للإنتصار، وأنه كثيراً ينتصر القليل على الكثير<sup>(١)</sup> كرر اسمه  
تعالى؛ لقصد الاعتناء بشأن المظهر تفخيماً وتعظيماً؛ لأن في ذكر المظهر من  
التفخيم ما ليس في المضمير<sup>(٢)</sup>، فضلاً عما في إظهاره من الدلالة على تفخيم  
الأمر وتعظيمه<sup>(٣)</sup> في سياق الامتنان، تذكيراً للمجتمع الإنساني كافة بأنعم الله  
تعالى عليهم، وتسخيروه بعضهم لمنافع بعض، وهكذا تدور حياتهم: غنيهم  
وفقيرهم، العامل منهم ورب العمل... إلخ.

ثالث عشر: قوله: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ  
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ  
الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنَّ أُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٢/٢٧٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٢/٤٠٨.

(٣) السابق، ٣/٢١٩.

مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ [البقرة: ٢٥٣]، إذ إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمنا... ولو شئنا ما اقتتل الذين من بعدهم..... ولو شئنا ما اقتتلوا ولكننا نعمل ما نريد)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالاسم الأعظم (الله) بدل الضمير؛ اعتناء بشأنه وتفخيما وتعظيما له، وإعلام المجتمعات أن ما يحدث في ملك الله تعالى غير خارج عن مشيئته، وأنه سبحانه (الله) الملك الأعظم، الذي يفعل ما يريد، فلا يغتر ضعاف الإيمان بابتلاء أولياء الله تعالى أو بعض أنبيائه، أو كفر بعض خلقه، وتأكيد أن كل هذا وغيره من فعل الله تعالى العظيم، وداخل في مشيئته، ويزيد على ذلك في قوله: (ولكن الله يفعل ما يريد) أن في الإظهار دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

رابع عشر: قوله: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... [البقرة: ٢٦٩]، الذي ورد في سياق الحديث عن فضل الحكمة ومكانتها، بعد الحديث عن وعود الشيطان وإغراءاته في مقابلة ما يعد به الله سبحانه الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٦٨]، الأمر الذي يستدعي من الأفراد والمجتمعات عقلانية وحكمة في وزن الأمور، ووضع كل شيء في نصابه، وتقديره حق قدره، ومن ثم الاختيار بين لذة سريعة عاجلة ومتعة زائلة (وذلك في اتباع الشيطان وما يأمر به)، وبين متعة خالدة ونعيم دائم (فيما يأمر به الله تعالى من الشرائع والأحكام التي يدور عليها فلك المنافع،

والتي يخص بها من يشاء من عباده)، وهذا ما تم التعبير عنه بـ (الحكمة) في الآية، ثم أثنى سبحانه على من اختارهم ووقفهم لهذا الإيتاء، واضعا المظهر موضع المضمّر في (ومن يؤت الحكمة...) حيث سبق ذكر الحكمة في صدر الآية، إذ كان مقضى الظاهر أن تكون العبارة (ومن يؤتها)؛ تعظيما للحكمة، واعتناءً بشأنها، فضلا عن الثناء على أهلها ومن أوتيها، ومدحه بأنه أوتي خيرا كثيرا<sup>(١)</sup>.

خامس عشر: قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٨٢] حيث ذُكر لفظ الجلالة في الآية ثلاث مرات، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله ويعلمكم، أو وهو يعلمكم، إنه بكل شيء عليم)، لكنه عدل عن ذلك وعبرَ بالمظهر (الله) في موضع المضمّر في الموضعين الأخيرين؛ تعظيما له، وتفخيما لشأنه؛ لأن في ذكره من التعظيم وتفخيم الأمر ما ليس في المضمّر، يشهد لذلك ما ذكره الإمام عبد القاهر من أن حسن الإظهار وموقعه من النفس وبعثه الأريحية لا يخفى على من له ذوق<sup>(٢)</sup>، قال الراغب في تفسير هذه الآية: "إن قيل: كيف قال: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وكرر لفظ (الله) ثلاثا متواليات، ولم يعدل

(١) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ٤١/٢، ٤٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٥٥٦، ٥٥٧، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة: الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بمكة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

إلى الكناية [أي: إلى الإظهار]، وهل ذلك في استقبح خط الإعادة لولا شرف لفظ (الله)؟ ثم أجاب بقوله: "ولهذا الباب قانون يعرف به المستقبح من المستحسن، وهو أن كل تكرير على طريق تعظيم الأمر أو تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها، فذلك غير مستقبح، وإذا كان ذلك في جملة واحدة أو في جمل في معنى واحد، أو لم يكن فيه التعظيم أو التحقير، فذلك مستقبح، وهذا ظاهر في الآية ...، فإنما قوله: **وَاتَّقُوا اللَّهَ** <sup>ط</sup>**وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** جمل في معان مفترقة، فإن الأول: حث على تقوى الله، والثاني: تذكير بنعمه، والثالث: تعظيم له متضمن لوعده ووعيد شديد وقصد عظيم كل واحد من هذه الأحكام، فأعيد لفظ (الله) فيها<sup>(١)</sup>، و قال المرزوقي عند شرح قول يحيى بن زياد<sup>(٢)</sup>:

لما رأيت الشيب لاح بياضه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا [الطويل]

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسبوني، ١/١٩١، ١٩٢، الطبعة: الأولى، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، وينظر في ذلك: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٢/٣٥١.

(٢) هو أبو الفضل يحيى بن زياد بن عبيد الله بالحارثي، كان خطيباً أديباً. قال عنه الزركلي: "شاعر ماجن، يرمي بالزندقة من أهل الكوفة، له في السقّاح والمهدي العباسيين مدائح، وهو ابن خال السقّاح، أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها، فخرج عنها، وفي أمالي المرتضى: "كان يعرف بالزنديق، وكانوا إذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق، يعنون يحيى؛ لأنه كان ظريفاً، توفي في أيام المهدي". الأعلام، الزركلي، ٨/١٤٥، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

قال: "وكان الواجب أن يقول: قلت له مرحبا، ولكنهم يكررون الأعلام وأسماء الأجناس كثيرا، والقصد بالتكرير التفخيم"<sup>(١)</sup> والتعظيم، فضلا عما في إظهار الاسم الجليل في الجمل الثلاث من قصد التنويه بكل جملة منها حتى تكون مستقلة الدلالة، لا تحتاج إلى ربط بالضمير، بل اكتفي فيها بربط حرف العطف، وليست في معنى واحد، فالأولى: حث على التقوى، والثانية: تذكر بالنعمة، والثالثة: تتضمن الوعد والوعيد"<sup>(٢)</sup>.

**المطلب الثاني: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة لإزالة اللبس، أو التوسل من الظاهر إلى الوصف.**

(أ) - يأتي المظهر في النظم الحكيم في موضع المضمرة احتياطا؛ لإزالة ما عسى أن يشوب الكلام من لبس يصرفه عن مراده، ومن ثم يحتاج المتلقي إلى ما يزيل ذلك اللبس، فيأتي المظهر ليرشد المتلقي إلى الوصف، ويكشف له عن المراد في أتم صورة، وأبين وجه، والناظر في سورة البقرة يجد أن وضع المظهر موضع المضمرة لإزالة اللبس جاء في خمسة مواضع في الآيات: (٩٦، ٩٨، ٩٧، ٢١٧، ٢٤٣)، أولها: قوله سبحانه: **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ...** [البقرة: ٩٦]، الوارد في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وشنيع أفعالهم، وقبيح خلالهم، وقد سبق -

(٣) شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، باب الأدب، الحماسية رقم (٤٠٠) ص ١١١٧، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١) ينظر: البحر المحيط، ١٧١/٢.

بعد بيانهم - التعبير عنهم بالضمير (وَلْتَجِدَنَّهْمُ)، فكان مقتضى الظاهر أن يستمر السياق في التعبير عنهم بالضمير، فتكون العبارة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومنهم يود...)، ولكنه عدل عن ذلك وعبر عنهم بالمظهر في موضع المضمّر، [هذا بناء على أن السياق للمحاجة، وأن الواو استثنائية<sup>(١)</sup>]؛ نعيًا عليهم بالشرك؛ احتياطًا، حتى لا يظن أحد خروجهم من جملة المشركين ودخولهم مع المؤمنين؛ لإيمانهم بموسى وتعصبهم لديانته، فجاء التعبير عنهم بالمظهر مع إمكانية الإضمار؛ ليستقر في ذهن المجتمع من خلال الوصف (الَّذِينَ أَشْرَكُوا) أنهم محكوم عليهم بهذا الحكم (الشرك)، ومن ثم يتمسكون بالحياة، ولا يريدون الانتقال عنها، قال الألوسي: "ووضع المظهر موضع المضمّر نعيًا عليهم بالشرك<sup>(٢)</sup>".

ثانيها: قوله: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [البقرة: ٩٨]، وقد جاء وضع المظهر موضع المضمّر هنا في موضعين، الموضع الأول في التعبير بلفظ الجلالة (الله) في (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) وقد سبق في الآية ذكر لفظ الجلالة، ومن ثم يصح الإضمار؛ لوجود ما يصح أن يعود عليه الضمير، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (من كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكايل

(١) أما إن كان المراد بـ (الذين أشركوا) المشركين غير اليهود فلا تكون الآية من مواضع الاحتياط بوضع المظهر في موضع المضمّر.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ١/٣٣٠.

فإنه عدو للكافرين)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (الله)؛ لأنه لو أضمر لأدى ذلك إلى تليس المعنى على السامع، إذ ربما يفهم بعض أفراد المجتمع أن الضمير عائد إلى (ميكال)؛ لأنه أقرب مذکور، أو إلى (جبريل)؛ تلاقيا مع حال اليهود الذي نزلت فيهم الآيات، فيكون الكلام مجاوبا لبعضهم في قولهم على جبريل - عليه السلام - : "ذاك عدونا"، ولهذا خصّه الله تعالى في الآية السابقة مباشرة برد مستقل، وأفرده من دون غيره في قوله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ البقرة: ٩٧، أو يتوهم عوده على اسم "كان" في قوله: مَنْ كَانَ عَدُوًّا ، قال الألوسي: "وأتى باسم الله ظاهرا، ولم يقل: "فإنه عدو للكافرين" دفعا لانفهام غير المقصود، أو للتعظيم والتفخيم...<sup>(١)</sup>"، الموضع الثاني في التعبير بلفظ (الكافرين) في (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)، وقد سبق ما يصح أن يعود إليه الضمير (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ)، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال فإن الله عدو له، أو لهم)، ولكنه عدل عن ذلك أيضا؛ احتياطا؛ لدفع توهم أن يفهم بعض أفراد المجتمع أن الضمير إن كان مفردا (فإن الله عدو له) عائد إلى (ميكال) أقرب مذکور، أو يُفهم إن كان الضمير جمعا (فإن الله عدو لهم) أن يكون الضمير عائدا إلى من سبق ذكرهم (ملائكته ورسله وجبريل وميكال)، وهذا غير مراد ألّبتة، ولهذا عبر بالظاهر (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ

(١) روح المعاني، الألوسي، ٣٣٣/١.

لِلْكَافِرِينَ)، فضلا عما في الإظهار من التوسل بالوصف الظاهر (الكافرين) إلى أن عداوة المذكورين (الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) كفر ظاهر بيّن، وأنه يستوجب عداوة الله تعالى وسخطه وعقابه، قال الألوسي: "وضع المظهر موضع المضمّر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر، وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به، وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور... (١)".

**ثالثها:** قوله: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِ الرَّجْلُ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ... البقرة: ١٩٧، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (في الحج) في موضع المضمّر؛ لإزالة توهم بأن يكون الضمير عائدا إلى (من) في (فَمَنْ فَرَضَ) لا على الحج، وعليه يكون المعنى: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في فريض الحج، وليس النهي عن هذه الثلاثة في الحج، ومن ثم يخرج النهي عن مراده، ويفرغ الكلام من مضمونه عند بعض أفراد المجتمع، إذ الصواب أن المراد من الآيات بيان أن هذه الثلاثة (الرفث والفسوق والجدال) منهي عنها في الحج، قال أبو حيان: "قال بعضهم: وكرر في الحج فقال: (في الحج)، ولم يقل: (فيه) جريا على عادة العرب في التأكيد بإقامة المظهر مقام المضمّر...، وإزالة توهم أن يكون الضمير عائدا على (من) لا على الحج، أي: في فريض

(١) روح المعاني، الألوسي، ١/٣٣٣، ٣٣٤.

الحج، وعلى ما اخترناه من أن المراد بهذه الأخبار النهي تكون هذه الأشياء الثلاثة منهيًا عنها في الحج<sup>(١)</sup>، فضلا عما في الإظهار من تأكيد النهي عن هذه الثلاثة في الحج، وتمكين نفى الرفث والفسوق والجدال فيه بين مجتمع الحجيج، والتنبيه على أنه يجب فيه أكثر مما يجب في غيره من البعد عن كل ما يُلهي عن ذكر الله تعالى ومرضاته، ومن زيادة في تقرير وتمكين فرضيته في هذه الأشهر المعلومات.

**رابعها:** قوله: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ** وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ... [البقرة: ٢١٧] إذ الظاهر أن تكون العبارة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل هو فيه كبير وصد عن سبيل الله...) لذكر القتال قبل، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك ووضع المظهر موضع الضمير؛ دفعا لتوهم أن يُفهم عودة الضمير على (الشهر الحرام)، وأن الشهر الحرام هو الكبير، فإزالة لهذا اللبس عبر بالمظهر حسما للأمر، فإظهار لفظ القتال في مقام الإضمار؛ ليكون الجواب صريحا حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير، وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ<sup>(٢)</sup>، تلاقيا مع سياق التشريع ببيان عظيم حرمة القتال في الشهر الحرام، تقريرا لما له من الحرمة التي جعلها الله لهذه الأشهر من عهد إبراهيم عليه السلام، هذا إن كان السؤال

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ٢/٢٨٨، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش، إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية، ٣٤١/٥، (المكتبة الشاملة).

من المسلمين، أما إن كان السؤال من المشركين، فهو تبكيت لمن توقع منهم أن يجيبهم بإباحة القتال فيه فيثوروا بذلك العرب ومن في قلبه مرض<sup>(١)</sup>.

خامسها: قوله: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** [البقرة: ٢٤٣]، الآية واردة في سياق الحث على الجهاد، والعظة بترك الجبن، من خلال بيان أن الخوف من الموت لا يدفع الموت، فهؤلاء الذين ضرب بهم هذا المثل خرجوا من ديارهم خائفين من الموت، فلم يغن خوفهم عنهم شيئاً، وأراهم الله الموت ثم أحياهم؛ ليصير خلق الشجاعة لهم حاصلًا بإدراك الحس، ومحل العبرة من القصة: هو أنهم ذاقوا الموت الذي فروا منه، ليعلموا أن الفرار لا يغني عنهم شيئاً، وأنهم ذاقوا الحياة بعد الموت، ليعلموا أن الموت والحياة بيد الله<sup>(٢)</sup>، وليدركوا فضل الله تعالى عليهم وإنعامه، ومع ذلك لم يشكروا، هذا طبع أكثر أفراد المجتمع وديدهم، ومقتضى الظاهر في الآية أن تكون العبارة (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (الناس)؛ دفعا لتوهم أن يكون المراد بالضمير في الآية الذين ضرب المثل فيهم ممن خرجوا من ديارهم خائفين من الموت، قال البقاعي: "كرر

(١) ينظر: السابق، ٣٢٦/٢.

(٢) السابق، ٤٥٨/٢.

الإظهار ولم يضمن ليكون أنص على العموم لئلا يدعي مدع أن المراد بالناس الأول أهل زمان ما، فيخص الثاني أكثرهم<sup>(١)</sup>"

(ب) - يأتي الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمحل للتوسل من المظهر إلى وصف المتحدث عنهم بصفة لم تكن لتفهم من بعض أفراد المجتمع أو تُعرف لولا الإظهار، وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع في الآيات: (٩٥، ١٧١، ٢٤٦) أولها: قوله: وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

[البقرة: ٩٥] الآية واردة في سياق الحديث عن اليهود، وكفرهم وعنادهم ووقاحتهم بادعاء الإيمان، والاختصاص بالجنان، وإبطال دعواهم (التمسك بالتوراة وإيمانهم بأنبيائهم ببيان خروجهم عن شرع التوراة بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، وإبطال ما في عقائدهم من الانفراد برحمة الله، وحرمان من سواهم من حظ الآخرة) عن طريق إحالتهم إلى الثقة بحسن مصيرهم (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) البقرة: [٩٤]، الذي بيّن أنه لن يكون منهم بسبب جرائمهم وفضائعهم التي تقترفها أيديهم، بدليل قوله بعدها: (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)، المسوقة من جهته تعالى؛ لبيان ما يكون منهم من الإحجام الدال على كذبهم في دعواهم، والمراد لن يتمنوه ما عاشوا<sup>(٢)</sup>، ومن ثم كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (والله عليهم بهم) لورود ذكرهم قبل ذلك، غير أن النظم الحكيم عدل عن الإضمار، وعبر بالمظهر وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، توسلا من المظهر

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٦٦/١.

(٢) روح المعاني، ٣٢٨/١.

إلى وصفهم بالظلم؛ وفضحهم أمام المجتمعات الإنسانية كافة، وتكذيبهم في ادعاء الأفضلية على بقية الشعوب، وعلى سائر الملل والأعراق.

**ثانيها:** قوله: **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** [البقرة: ١٧١]، الآية في سياق تمثيل حال الكافرين الوارد في سابقتها **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ أَنَابَؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** [البقرة: ١٧٠] حيث مثَّل داعي الذين كفروا بالناعق الذي لا تفهم بهائمهم ما تحت الصوت، أو مثَّل الذين كفروا ببهائمهم الذي ينطق، قال الألوسي: "ووضع المظهر- وهو الموصول- موضع المضمّر- وهو البهائم- ليتمكن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه، وحاصل المعنى على التقديرين أن الكفرة لأنهماكهم في التقليد وإخلاصهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينطق عليها وهي لا تسمع إلا جرس النغمة ودوي الصوت، وقيل: المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته، أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نطقه... (١)".

**ثالثها:** قوله: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا أَلَمْ نَأْتِكَ بِهَذَا الْغُلَامِ الْكَافِرِ الْيَحْيَىٰ بِنْتِ ابْنِكِ الْمَرْيَمَ بِمَا عَمِلْتَ فِيهَا فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَيْهَا سَلْمَةَ ابْنَتِهَا الَّتِي كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْهُنَّ حَمِيمًا وَإِنَّا لَنَكْتُبُ لِمَنْ أَشَاءُ مِنْهُمْ أَجْرًا وَلَا نَكْفُرُ بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** [البقرة: ٢٥٠]، الآية في سياق تمثيل حال الكافرين الوارد في سابقتها **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ أَنَابَؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** [البقرة: ١٧٠] حيث مثَّل داعي الذين كفروا بالناعق الذي لا تفهم بهائمهم ما تحت الصوت، أو مثَّل الذين كفروا ببهائمهم الذي ينطق، قال الألوسي: "ووضع المظهر- وهو الموصول- موضع المضمّر- وهو البهائم- ليتمكن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه، وحاصل المعنى على التقديرين أن الكفرة لأنهماكهم في التقليد وإخلاصهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينطق عليها وهي لا تسمع إلا جرس النغمة ودوي الصوت، وقيل: المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته، أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نطقه... (١)".

(١) روح المعاني، الألوسي، ٤٣٨/١، ٤٣٩.

إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة: ٢٤٦] إذ الظاهر أن تكون العبارة (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بهم)، لكنه عدل عن ذلك ووضع المظهر (الظالمين) موضع الضمير؛ احتياطا للتوسل من المظهر إلى وصفهم بالظلم تسجيلا عليهم بذلك بين مجتمعاتهم؛ ليتمكن من إجراء هذه الصفة عليهم.

**المطلب الثالث: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة؛ للترغيب في الشيء وزيادة الحث عليه.**

كما يأتي وضع المظهر موضع المضمرة احتياطا؛ للتعظيم أو إزالة اللبس، والتوسل من الاسم المظهر إلى الوصف بعده، يأتي للترغيب في الشيء وزيادة حث الفرد والمجتمع عليه، ومن خلال استقصاء مواضع التعبير بالمظهر في موضع المضمرة احتياطا؛ للترغيب في الشيء وزيادة الحث عليه يتبين أنه جاء في السورة في عشرة مواضع، في الآيات (٥٤، ١٩٩، ١٩٥، ١٨٠، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٦٨).

أولها: قوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ ۖ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** [البقرة: ٥٤] الآية واردة في





**خامسها:** قوله: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** [البقرة: ٢٠٧] إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (ابتغاء مرضات الله وهو رؤوف بالعباد)، لكنه عبر بالمظهر في موضع المضمّر فقال: **وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ؛ ترغيباً للمجتمع المسلم في بذل النفس لله تعالى، ومبالغة في الحض عليه، فضلا عما فيه من الدلالة على مدح من يبذلون أنفسهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، والثناء عليهم، ومن ثم فالله تعالى الأعظم ذو المهابة والجلال بهم رؤوف، ولهذا أسندت الرأفة إليه وأخبر بها عنه، وفي الآية موضع آخر وضع فيه المظهر موضع الضمير، وذلك في التعبير بـ (العباد) في (والله رؤوف بالعباد)؛ إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (والله رؤوف بهم) على أن معنى (مَن) عام في كل من يبذل نفسه لله تعالى، وهذا الإظهار للدلالة على استقلالية جملة التذليل بمعناها، ليكون هذا التذليل بمنزلة المثل مستقلا بنفسه، فضلا عما فيه من تشريف هؤلاء العباد من خلال هذا الوصف، وبيان سبب الرأفة بهم، من أنهم جعلوا أنفسهم عبادا لله تعالى، وأنه سبحانه من رحمته ورأفته بهم يكلفهم التقوى ويعرّضهم للثواب<sup>(١)</sup>.

**سادسها:** قوله: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** [البقرة: ٢٢٢] حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فأتوهن من حيث أمركم الله إنه يحب التوابين...)

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/٢١٢.

لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وعبر بالمظهر (إن الله) في موضع المضمرة؛ للترغيب في التوبة والتطهر، والمبالغة في تأكيد حض المجتمعات المسلمة عليهما؛ لأن في ذكر الاسم الأعظم (الله) دلالة على تعظيم الأمر وتفخيمه، وضرورة الالتزام فيه بأمر الله، فضلا عما في الإظهار من دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها لجرياتها مجرى المثل.

سابعها: قوله: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ..... وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة: ٢٣٥] فمقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أنه غفور حلِيم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر الاسم الأعظم (الله) في مقام الإضمار؛ ترغيبا في الرجوع إليه سبحانه، واللجوء إلى حلمه وغفرانه بعد "قطع هواجس التساهل والتأول في هذا الشأن [أمر التعريض بالخطبة قبل انتهاء العدة]؛ ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخلٍ وحيلة<sup>(١)</sup>".

سابعها وثامنها: قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٤٣-٢٤٤] الآيتان في سياق الترغيب

(١) ينظر جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش، ٢/٢٦٢.

في الجهاد في سبيل الله، فقلوه: (ألم تر إلى الذين خرجوا... ) استئناف ابتدائي للتحريض على الجهاد والتذكير بأن الحذر لا يؤخر الأجل، وأن الجبان قد يلقي حتفه في مظنة النجاة<sup>(١)</sup>؛ ولهذا أظهر الاسم الجليل (الله) في موضع الضمير، إذ الأصل أن تكون العبارة (...فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إنه لذو فضل على الناس)، ولكنه عدل عن الإضمار في قوله: (إن الله لذو فضل على الناس) بإحيائهم بداءة، وعلى الذين خرجوا فأما تمم ثم أحياهم، ومن ثم فليبدلوا نفوسهم في سبيله؛ إعلاءً لكلمته، ونصرةً لدينه وشرعه، كما أظهر الاسم الجليل (الله) أيضاً في (واعلموا أن الله سميع عليم) بعد (وقاتلوا في سبيل الله)، إذ الأصل أن تكون العبارة (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أنه سميع عليم)، ولكنه عدل عن ذلك؛ مبالغة في زيادة حث المجتمع المسلم فرادى وجماعات على الجهاد والقتال في سبيل الله، تنبيهاً لهذه الأمة أن لا تفر من الموت كفرار أولئك، وتشجيعاً لها، وتثبيتاً، فضلاً عما فيه من التحذير من ترك القتال في سبيله من خلال تذكيرهم بإحاطة علمه، فهو سبحانه يسمع ما يقوله المتخلفون عن القتال والمتبادرون إليه، ويعلم ما انطوت عليه النيات، ويجازي على ذلك<sup>(٢)</sup>.

**تاسعها:** قوله: **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** [البقرة: ٢٦١] حيث إن الظاهر يقتضي أن تكون العبارة (والله

(١) ينظر: السابق، ٤٥١/٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ٢٦١/٢.

يضاعف لمن يشاء وهو واسع عليهم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم (الله) في **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ؛ لترغيب المجتمع في الإنفاق في سبيل الله، وتأكيد الحض عليه، من خلال بيان أن المضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى الواسع الغني الذي لا تنفذ خزائنه، فضلا عما في الإظهار من دلالة على إمكانية استقلالية الجملة بمعناها؛ لجرياتها مجرى المثل.

**عاشرها:** قوله: **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** [البقرة: ٢٦٨] الوارد في سياق ممتد من الترغيب في الإنفاق، فقبله مباشرة قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبِّتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** [البقرة: ٢٦٧] ولهذا بينت الآية حجة الشيطان وحيلته في تشبيط مجتمع المؤمنين عنه، من خلال إيعادهم الفقر، فيأتي الرد من الله سبحانه بوعد المنفقين بالمغفرة والزيادة التي تنفي حيل الشيطان وتدحض حججه المثبطة عن الإنفاق، ولهذا أظهر الاسم الجليل (الله) في موضع الإضمار، مخبرا عنه بما ينبئ عن سعة العطاء (والله واسع عليهم)؛ ترغيبا في أمر الإنفاق زيادة على الترغيب المفهوم من الوعد بالمغفرة والزيادة في (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)، هذا فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلال الجملة بمضمونها؛ لجرياتها مجرى المثل.

المطلب الرابع: وضع المظهر موضع المضمرة؛ احتياطا؛ للتحذير من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه.

كما جاء وضع المظهر موضع المضمرة احتياطا؛ لترغيب المجتمع في الشيء، وزيادة الحث عليه، يأتي أيضا لتحذيره من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه، وقد جاء ذلك في سورة البقرة في ستة عشر موضعا، في الآيات: (٧٤، ٧٦، ١٠٤، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٧٦، ٢٨٤)، أولها: قوله تعالى: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** [البقرة: ٧٤] في سياق الحديث عن قسوة قلوب بني إسرائيل، وتعطيلهم حدود الله تعالى بمدارة جرائم كبرائهم، وكنم علمهم بها **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**، حيث أظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإن منها لما يلبط من خشية الله وما هو بغافل عما تعملون)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأجل؛ تحذيرا لمجتمعهم، ببيان أنه تعالى محيط بنواياهم وأفعالهم، وأنه مؤاخذهم عليها، وفي ذلك ما فيه من الوعيد والتهديد والترهيب الذي ناسبه إظهار الاسم الجليل المشعر بالهيبة والرغبة، والذي يتلاقى مع سياق الشدة والتهديد على العصيان، فقوله: (وما الله بغافل عما تعملون) تذييل في محل الحال، لتهديدهم ووعيدهم على ضلالهم ومحاولتهم إضلال غيرهم؛ وبيان أنه - سبحانه - ليس غافلا عن أعمالهم وصددهم المؤمنين

بطريق الخفية، بل سيجازيهم على هذه المسالك الخبيثة في الدنيا والآخرة، ولهذا ختمت الآية الكريمة ببيان أن الله - تعالى - محيط بكل ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال وليس غافلا عنه، بخلاف الآية الأولى التي كان كفرهم فيها بطريق العلانية، ولهذا ختمت ببيان أن الله مشاهد لما يعملونه ولما يجاهرون به.

**ثانيها:** قوله: **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** [البقرة: ٧٦] الآية واردة في سياق الحديث الداخلي بين المنافقين (وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ)، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (ليحاجوكم به عنده)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وعبر بالمظهر (ربكم)؛ تكثر للمعنى، ومبالغة في تأكيد النكير على مجتمع اليهود، وتشديد التوبيخ المفاد من الاستفهام الإنكاري (أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) (١) تحذيرا لهم، وترهيبا من فعلهم، كما أن في اصطفاء لفظ (ربكم) هنا؛ زيادة في توبيخهم، وكشف ذميم صفاتهم، ومكرهم، فهم يلومون من يتحدث بما فتح الله عليه منهم إلى المسلمين، ويوبخونه على ذلك بتذكيره بمحاجة المؤمنين له أمام المحسن إليه (ربكم)؛ لترغيبه في المراوغة والكذب والمكر فيما يحدث به الذين آمنوا، كم هي مغالطة كبيرة، ومكر عظيم، وفساد كبير، تستحق التحذير والترهيب منها.

(١) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ١/٣٠٠.

**ثالثها:** قوله: **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** [البقرة: ١٤٠]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وما هو بغافل عما تعملون)، لكن النظم وضع المظهر موضع المضمرة؛ إبلاغا في تهديد مجتمع أهل الكتاب، وترهيبهم، وتحذير الكاتمين خاصّة أهل الكتاب من الأحبار والرهبان ومن هم على شاكلتهم، ممن تركوا أمتهم على عقائد الخطأ والضلالة وهم ساكتون لا يغيرون عليهم إرضاء لهم، واستجلابا لمحبتهم، تهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو تعالى يحصيها عليهم، وإذا لم يفعل عنها كان مجازياً عليها<sup>(١)</sup>، قال أبو السعود: "وهو وعيدٌ شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتبُ عليها من الأعمال السيئة"<sup>(٢)</sup>.

**رابعها:** قوله: **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا... وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** [البقرة: ١٤٤]، إذ مقتضى النظم أن تكون العبارة (وما هو بغافل عما يعملون)، فعدل النظم عن ذلك، وأظهر الاسم الأجل (الله) في موضع الضمير؛ إبلاغا في تهديد مجتمع أهل الكتاب، وتحذيرهم ووعيدهم على ما هم

(١) ينظر: البحر المحيط، ١/٤٣٣.

(٢) تفسير أبي السعود، ١/١١٥.



وترهيباً للمجتمع والأفراد من قتال المؤمنين ومعاداتهم، وتحذيراً من ذلك أشد تحذير<sup>(١)</sup>.

**سابعها:** قوله: **وَاتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخَلِّقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفَدَيْتُهُ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [البقرة: ١٩٦]** إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله واعلموا أنه شديد العقاب) لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم (الله)؛ احتياطاً لزيادة تحذير المجتمع المسلم وترهيبه من التهاون في أحكام الحج والعمرة التي لا تخلو من مشقة، ودلالة على ضرورة الاهتمام بها، وأدائها على الوجه الصحيح، كما كان يؤديها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يتلاقى مع افتتاح الجملة بالأمر بالعلم (وَعَلِّمُوا) الدال على تحقيق الخبر وتأكيده؛ لأن العلم بالخبر يحصل من الخبر نفسه، فلما أراد تحقيق الخبر قال: (وَعَلِّمُوا) تحقيقاً له، كأنه يقول: إنه ليس مجالاً للشك.

**ثامنها:** قوله: **سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِن آيَاتِنَا بَيْتِي وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [البقرة: ٢١١]**، إذ مقتضى

(١) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ٤٧١/١.

السياق أن تكون العبارة (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنه شديد العقاب)، لكن النظم عدل وأظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار؛ احتياطا "لإدخال الروح في ضمير السامع، وتربية المهابة<sup>(١)</sup>" في قلوب الذين يبدلون نعم الله؛ تحذيرا لمجتمع اليهود، وتهديدا على شنيع فعلهم، وتوعدهم على ذلك بشديد العقاب من المهاب ذي الجلال، الذي يوجب ذكره في الكلام مهابة تتلاقى وسياق الحديث عن تبديل آيات الله سبحانه.

**تاسعها:** قوله: **فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي سَأَلْنَا قُلَّ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [البقرة: ٢٢٠] فمقتضى الظاهر (ولو شاء الله لأعنتكم إنه عزيز حكيم)، ولكنه عدل عن ذلك، وأظهر لفظ العظمة (الله) في مقام الإضمار؛ تحذيرا وترهيبا للمجتمع المؤمن من المشقة والعنت الذي أفضى إليه إهمال أمر اليتامى، وترك مخالطتهم، والبعد عما يصلحهم.

**عاشرها:** قوله: **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [البقرة: ٢٢٤]، حيث وضع المظهر (الله) موضع المضمرة في سياق النهي عن اللغو في اليمين؛ تحذيرا وترهيبا من الاستهانة باسم الله تعالى، وجعله عرضة للإيمان في غير ما حاجة إليها، فضلا عما فيه من دلالة على إمكانية استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

(١) ينظر: السابق، ٢/٢٩٣.

**حادي عشر، وثاني عشر:** قوله: **الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**

[البقرة: ٢٢٩- ٢٣٠] حيث وضع المظهر موضع المضمرة في ثلاثة مواضع من الآية الأولى (٢٢٩)، إذ الظاهر أن تكون العبارة (...إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدوده فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدوده فلا تعتدوها ومن يتعد حدوده فأولئك هم الظالمون)، وفي موضع واحد من الآية الثانية (٢٣٠)، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...إن ظننا أن يقيما حدود الله وتلك حدوده يبينها لقوم يعلمون)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر الاسم الأجل في موضع الضمير؛ مبالغة في التحذير والترهيب والزجر لمن يتجرأ من أفراد المجتمع ويتجاوز تلك الحدود التي شرعها الله تعالى في أمر الطلاق والرجعة، فهي حدود الله الأجل الأعظم، الذي يوجب ذكره في القلوب مهابة، وفي النفوس روعة تردع المتجاوزين الذين يخالفون أحكامه.

**ثالث عشر:** قوله: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٣١] إذ الأصل أن تكون العبارة (ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمته عليكم ..... واتقوه واعلموا أنه بكل شيء عليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر في موضع الضمير تحذيرا وترهيبا من ظلم النفس الذي يفضي إلى إمساك الزوجات ضارا لمجرد الاعتداء والتعدي على حقوقهن جحودا لنعم الله تعالى ولما بينه في كتابه من الشرائع، فهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يحول بينه وبين عقاب المخالفين شيء.

**رابع عشر:** قوله: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ..... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة: ٢٣٣] مقتضى الظاهر أن يكون التعبير (واتقوا الله واعلموا أنه بما تعملون بصير)، لكنه وضع المظهر (الله) موضع الضمير مبالغة في التحذير والتخويف والحث على مراقبة ما شرع الله تعالى في أمر الرضاع، من غير تحايل أو رعاية منفعة دنيوية أو مكايده.

**خامس عشر:** قوله: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ [البقرة: ٢٧٦]، عوضا من (يمحق الله الربا ويربي الصدقات ولا

يجب، أو وهو لا يجب كل كفار أثيم)؛ ترهيبا وتحذيرا للمجتمع من الربا وسوء عاقبته في الدنيا بالمحق، وفي الآخرة بالعقاب الشديد، ولهذا أظهر الاسم الأعظم الذي يوجب ذكره في الكلام مهابة وتخويفا، فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلال الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

**سادس عشر:** قوله: **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [البقرة: ٢٨٤] الآية واردة في سياق بيان كمال ملكية الله تعالى لهذا الكون، وكمال تصرفه فيه، وشمول علمه وقدرته، ما يُمكنه من المحاسبة والمجازاة على ما خفي وما ظهر من أعمال النفوس والأبدان، وهذا ما يتلاقى معه ويلائمه ويناسبه إظهار الاسم الأعظم في موضع الضمير؛ تحذيرا وترهيبا للمجتمع كله من المحاسبة علة مخالفة أمره وعصيانه في السر أو في العلن؛ لأنه العليم بما ظهر وبطن، القدير على كل شيء، ولهذا أظهر لفظ الجلالة (الله) في (يحاسبكم به الله)، وفي (والله على كل شيء قدير)؛ إذ كان يكفي في العبارة - لولا إرادة التحذير والتخويف والزجر - (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به وهو على كل شيء قدير).

المطلب الخامس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة لتعيين المقصود بالذات، أو الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم سابقتها.

يأتي المظهر في موضع المضمرة في بعض سياقات الكلام احتياطاً؛ لتعيين المقصود نصاً بالذات، احترازاً من العموم أو الشمول الذي قد يفهم من الضمير، وقد جاء ذلك في سورة البقرة في ثمانية مواضع في الآيات: (٢٢، ٢٣، ٣٤، ١٠١، ١٤٥، ١٦٥، ٢٤٦، ٢٥٨)، وجاء للدلالة على عدم دخول الجملة في حكم سابقتها، والإشارة إلى الشروع في كلام جديد في موضع واحد في الآية: (١٣٢)، أما آيات ورودها للتعيين فأولها: قوله تعالى: **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** [البقرة: ٢٢]، بعد قوله: **يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** [البقرة: ٢١]، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فلا تجعلوا له أنداد وأنتم تعلمون)؛ إذ جملة النهي (فَلَا تَجْعَلُوا) مترتبة على جملة الأمر (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)، لكن النظم عدل عن ذلك، وعبر بالمظهر (الله) في موضع المضمرة لتعيين المقصود بالذات بعد تعيينه بالصفات<sup>(١)</sup>، من خلال توضيح أنه الله المستحق لإفراده بالعبادة، المنزه عن الأقران والأنداد، مع الإشارة بجملة الحال (وأنتم تعلمون) إلى علمهم بوحديته وأحقيته في العبادة؛ إذ كانوا في الجاهلية يعتقدون

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/٦٢.

أن الله خالق الآلهة، وأن آلهتهم شفعاؤهم عند الله، وأنهم إنما يعبدوهم ليقربوهم إليه زلفى، حيث كانوا يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، ملكته وما ملك"، وبذلك يكون الأسلوب جمع بين توبيخهم على ما أهملوا وأضاعوا من رجاحة عقولهم وسلامة مداركهم، وإلهاجهم وإثارة همهم بما أثبت لهم من علم ورجاحة عقل ورأي، أي: أنتم من ذوي العلم والتمييز بين الحقائق والإدراك للطائف الأشياء والاستخراج لغوامض الدلائل، في الرتبة التي لا تليق لمن تحلى بها أن يجعل لله نداً وهو خلقه؛ لأن ذاك فعل من كان أجهل العالم وأبعدهم عن الفطنة وأكثرهم تجويزاً للمستحيلات، فضلا عما فيه من دلالة على قبح المنهي عنه، ووجوب اجتنابه، ولهذا حذف مفعول يعلمون؛ لأن المقصود إثبات أنهم من أهل العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>.

**ثانيها:** قوله: **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [البقرة: ٢٣]**، إذ الظاهر أن تكون العبارة (وادعوا شهداءكم من دوننا)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم؛ لتعيينه الذي يشي بتوبيخ مجتمع المشركين على إشراكهم به من هو دونه، وتعجيزهم وشركائهم عن معارضة القرآن، فأمره تعالى إياهم بالمعارضة وبدعاء الأنصار والأعوان، مع علمه أنهم لا يقدرون على ذلك، أمر تحكم وتعجيز، وقد بين تعالى بعد ذلك أن ذلك لا يقع منهم، سيما تفسير

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/٦٢، والبحر المحييط، ١/٢٤٠.

الشهداء بألتهم؛ لأنها جماد لا تنطق ، فالأمر بأن يستعينوا بما لا ينطق في معارضة المعجز غاية التهكم بهم (١).

**ثالثها:** قوله: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى** **وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** [البقرة: ٣٤]، في سياق الحديث عن قصة آدم عليه السلام والملائكة، من أول قوله: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** [البقرة: ٣٠]، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإذ قلنا لهم اسجدوا له...)، فالسياق كما سبق للحديث عنهم، وقد جرى الحديث عنهم بالإضمار في قوله قبلها: **قَالَ يَتَّخِذُ أَنْبِيَئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** [البقرة: ٣٣]، لكنه عدل عن ذلك وأظهر (الملائكة) و (آدم) في موضع الإضمار؛ لتعيين من يسجد لآدم بالذات (الملائكة)، وتعيين من يسجد لله سبحانه (آدم)، وبيان أن ذلك خاص بكلا الطرفين، بحيث لا يجوز، بل يُمنع منعا باتا لغير الملائكة أيًا كان أن يسجدوا لغير (آدم) أو أن يسجد آدم أو غيره لغير الله تعالى؛ حتى لا يسجد بشرٌ لبشر، أو أن يؤمر بشرٌ بالسجود لبشر بعد ذلك، هذا فضلا عما فيه من تفخيم وتعظيم أمر آدم عليه السلام؛ حيث أمر الله

(١) ينظر: البحر المحيط، ١/٢٤٨.

تعالى عباده المقربين (الملائكة) بالسجود له تعظيماً لشأنه، وإيداناً بأن ذلك نعمة جليلة مستقلة، حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها بعد نعمتي الخلق والاستخلاف في الأرض<sup>(١)</sup>.

**رابعها:** قوله: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** [البقرة: ١٠١]، سياق الآيات الممتد في الحديث عن اليهود وجحودهم وكفرهم بعد الإنعام عليهم في **يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** [البقرة: ٤٧]، والسياق الممتد كله لهم، فقبل الآية التي معنا مباشرة عبّر عنهم بالضمير في **وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ** [البقرة: ٩٩]، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر ذلك فيأتي التعبير بالضمير، فتكون العبارة (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق منهم ...)، لكنه عدل عن ذلك وعبر بالظاهر (**نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**)؛ لتعيينهم نصّاً عليهم بالذات؛ إبلاغاً في سوء صنيع مجتمع أهل الكتاب، وقبح فعالهم، وتنكرهم لما ينبغي، ومخالفتهم الأولى لمثل حالهم، فهم الذين أوتوا الكتاب، وعرفوا الحق بعلاماته ودلائله، فكان مقتضى علمهم ومعرفتهم أن يؤمنوا برسول الله، ويحافظوا على كتاب الله، لكنهم تنكبوا لكتاب الله، وعادوا رسوله، فيا قبح ما فعلوا، ويا سوء ما صنعوا!!!

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/٧٨.

خامسها: قوله: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** [البقرة: ١٦٥]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... أندادا يحبونهم كحبه والذين آمنوا أشد حبا له... ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة له وأنه شديد العذاب)، لكنه عدل عن ذلك وأن يظهر الاسم الأعظم (الله) في موضع الضمير في أربعة مواضع من الآية؛ لتعيين المقصود بالذات؛ زيادة في تشنيع فعل مجتمع المشركين، الذين اتخذوا من دون الله أندادا، وأشركوهم المحبة، وبيانا لسوء عاقبتهم إن هم استمروا عليه.

فإظهار لفظ الجلالة في الموضع الأول (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) تفضيح لحالهم في اتخاذ أنداد سؤوها بالله تعالى في محبتها والاعتقاد فيها، ودلالة على انحطاط عقولهم وتشويه معتقدتهم.

أما إظهار الاسم الأعظم في الموضع الثاني (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)؛ فلتعيينه بالذات عقب تعيينه بالصفات<sup>(١)</sup>؛ تنقيصا للمشركين حتى في إيمانهم بأهنتهم، وفي حبهام لها، حيث كانوا كثيرا ما يعرضون عنها إذا لم يجدوا منها ما أمثلوه، فيعتزفون به تعالى ويلجأون إليه في الشدائد، وإظهار الاسم الأعظم في (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)؛ للدلالة على أن ذلك - الاتخاذ - ظلم عظيم، وأن اتصاف المتخذين

(١) ينظر: روح المعاني، ١/٤٣٢.

به أمر معلوم مشهور، حيث عبر عنه بمطلق الظلم، والموصول والصلة؛ للإشعار بسبب رؤيتهم العذاب<sup>(١)</sup>؛ تفخيما للخطب وتهويلا وتفضيحا للأمر، تلاقيا مع حذف جواب الشرط (ولو يرى...)؛ لتذهب النفس في تصوير هذه القوة، وتصوير الجواب المحذوف كل مذهب، وتلاقيا أيضا مع تعريف القوة بلام الاستغراق، ومع التوكيد بـ (جميعا) الدالان على عدم الاعتداد بقوة غيره، والجملة تذييل لتأكيد الوعيد، وبيان حال المشركين في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

أما إظهاره في جملة التذييل (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) فلتنعيه مبالغة في تشنيع فعالهم، وتفضيح حالهم؛ إذ جعلوا لله الأعز الأعظم، شديد العذاب شركاء وأندادا، اعتقدوا ألوهيتها معه، وأشركوها المحبة، ولم يحسبوا حساب اليوم الذي يردون فيه على عذابه الشديد<sup>(٣)</sup>.

سادسها: قوله: **وَدَّ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**

(١) ينظر: روح المعاني، ١/٤٣٣.

(٢) ينظر: روح المعاني، ١/٤٣٤.

(٣) ذكر بعض المفسرين أن التعبير بـ (الذين ظلموا) في (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب...) من الإظهار في موضع الإضمار، وأن الذين ظلموا هم الذين اتخذوا من دون الله أندادا، وأن سره أن يكون شاملا لهؤلاء المشركين وغيرهم، وأرى أنه ليس من الإظهار في موضع الإضمار؛ لأنه لا يصح هنا تقدير الضمير، إذ لا يستقيم أن تكون العبارة (والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يروا إذ يرون العذاب...)؛ إذ لو جاءت هكذا لالتبس المعنى، ولأشكل مرجع الضمير؛ لأن أقرب مذكور يمكن أن يعود عليه الضمير هو (والذين آمنوا)، والمعتمد في وضع المظهر موضع المضمير أن يستقيم الكلام بتقدير المضمير.

شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ  
عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا  
قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ  
أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ  
[البقرة: ١٤٥، ١٤٤]، حيث كان مقتضى الظاهر التعبير بالضمير (ولئن أتيتهم  
بكل آية...)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (ولئن آتيت  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)؛ لتعيين مجتمع أهل الكتاب بالذات بوصفهم الذي  
يؤذن بكمال سوء حالهم من العناد، مع تحقيق ما ينافيه من الكتاب الذي  
أوتوه، الصادح بحقيته ما كابروا في قبوله بكل آية وحجة قطعية دالة على أن  
توجهك إلى الكعبة هو الحق، وتسرية وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ببيان  
أنهم ما تركوا قبلته لشبهة تدفعها بحجة وإنما خالفوه لمحض العناد، وبحت  
المكابرة<sup>(١)</sup>.

سابعها: قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ  
قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ  
إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا  
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة: ٢٤٦]، الآية في سياق

(١) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ١/ ٤٠٩، ٤١٠.

الحديث عن خصال بني إسرائيل، التي منها ترددهم وإخلاف وعودهم ونكوصهم على أعقابهم بعد تحقيق مطالبهم، حيث بينت الآية أنهم طلبوا من أحد أنبيائهم أن يشرع لهم القتال في سبيل الله (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أُبَعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، فلما أجيئوا فيما طلبوا (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، ولهذا أراد الله عز وجل في هذه الآية أن يظهر هذا الخلق فيهم، ومن ثم أظهر لفظ (القتال) في موضع الضمير؛ لتعيينه، والنص عليه بالذات، فضحا لمجتمع أهل الكتاب، وإظهارا لشنيع صفاتهم وقبيح خلاصهم وفعالهم، حيث طلبوا أن يشرع لهم القتال، فقرروهم أن إذا كتبه عليهم هل يقاتلوا؟ (قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)، فأجابوه قائلين: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا)، فلما كُتِبَ عليهم القتال (ذاته) الذي طلبوه نكصوا على أعقابهم، وتولى أغلبهم..

**ثامنها:** قوله: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [البقرة: ٢٥٨]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (... في ربه أن آتاه الملك)، لكنه عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (أن آتاه الله الملك) لتعيين أن الذي أعطاه الملك هو الملك الأعظم، الواحد

الأحد (الله) الأجل سبحانه، مالك الملك، ولهذا كان اصطفاء التعبير به من دون لفظ (رب) وأظهره؛ تعيينا له؛ لأن لفظ رب يمكن أن يطلق على غيره سبحانه، ولو جاء التعبير بالضمير لربما توهم غير المراد.

وأما الآية التي جاء فيها وضع المظهر موضع المضمّر للدلالة على عدم دخول الجملة في حكم سابقتها، والإشارة إلى الشروع في كلام جديد فقوله: **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ** [البقرة: ١٣٢]، بعد السياق الممتد في الحديث عن الخليل إبراهيم عليه السلام، فقبل هذه الآية **وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** [البقرة: ١٣٠-١٣١]، وعليه كان مقتضى الظاهر أن يضمّر غير أن السياق عدل عن ذلك وعبر بالمظهر في موضع الضمير وعطف على إبراهيم بنيه ويعقوب...؛ للدلالة على أنه شروع في كلام آخر؛ لبيان تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة، والشرع المستقيم نسلا بعد نسل....<sup>(١)</sup>، بعد أن انقضى الكلام عن ملة إبراهيم ومناقبه (اصطفائه وصلاحه وإسلامه لرب العالمين).

(١) روح المعاني، الألوسي، ١/٣٨٧.

## المطلب السادس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة لزيادة التقرير والتمكين.

يأتي وضع المظهر موضع المضمرة في الكلام؛ احتياطاً؛ لزيادة تقرير المعنى وتأكيده وتمكينه، قال ابن جني: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له"<sup>(١)</sup>، فالاحتياط أسلوب اتبعته العرب لتمكين المعنى<sup>(٢)</sup>، وقد ورد ذلك في سورة البقرة في ثلاثة عشر موضعاً في الآيات: (٦١، ٨٠، ١٠٥، ١٠٦ - ١٠٧، ١٤٦ - ١٤٧، ١٤٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨١، ١٨٩، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٤٤).

أولها: قوله: **وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** [البقرة: ٦١]، الآية واردة في سياق الحديث عن بني إسرائيل ومقابلتهم نعم الله تعالى بالفساد والإفساد في الأرض، والكفر بآيات الله، وقتل أنبيائه ورسله بغير حق، والعصيان والعدوان، واستبدال ما هو أدنى بالذي هو خير، ومقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآياته ويقتلون...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك،

(١) الخصائص، ابن جني، ١٠١/٣.

(٢) ينظر: ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص، ص ١٤.

وعبر بالمظهر في موضع المضمر (...وَبَاءَ وَبَغَضٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ)؛ لتقرير جحودهم نعم الله تعالى، وتأکید كفرهم بآياته، وتمكيننا لاستحقاقهم ما جاءت الجملة \_ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) وما عطف عليها \_ لتعليقه، من ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وتبوءهم بغضب من الله سبحانه، وما ذلك إلا لكفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه.

ثانيها: قوله: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: ٨٠]، الآية واردة في سياق بيان مجموعة من عقائد بني إسرائيل من (تبدیل کتاب الله وتحریفه، وأخذهم به المال الحرام، وكذبهم على الله...)، ثم الإشاعات التي يشيعونها بين الناس بألسنتهم (عدم المؤاخذة والأمن من العذاب إلا أياما معدودة)، وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً، وهو ما ينبئ عن غرور عظيم أكسبهم الجرأة على تحريف كلام الله ومعاداة رسله، والكذب عليه من خلال الإخبار بالكذب البحت عن مدة إقامتهم في النار<sup>(١)</sup>.

ومن ثم جاء الرد عليهم بطريقتين، الأولى: إجلأؤهم إلى الإقرار والاعتراف بأن ما أشاعوه من نفي المؤاخذة عنهم وأمن العذاب غير صحيح، وذلك من خلال الاستفهام التقريري (أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ

(١) ينظر: البحر المحيط، ١/٤٤٤، ٤٤٥.

اللَّهِ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الذي أظهر فيه لفظ الجلالة في موضعين مع إمكانية إضماره؛ إذ كان يصح (أخذتم عند الله عهدا فلن يخلف عهده أم تقولون عليه ما لا تعلمون)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة في موضع الإضمار؛ زيادة في تقرير وتمكين وتأکید كذبهم فيما أشاعوه من ادعاء الأمن من العذاب، ونفي المؤاخذة إلا أياما معدودة.

وفي الآية موضع آخر جاء الاحتياط فيه بوضع المظهر موضع الضمير؛ تقريرا للمعنى، وزيادة في تمكينه، وذلك حيث عبر بـ (فلن يخلف الله عهده) بعد وجود لفظ (عهدا) في مطلع الآية (أخذتم عند الله عهدا) ومن ثم كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة: (أخذتم عند الله عهدا فلن يخلفه الله)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ (عهده)؛ إبلاغا في تأكيد نفي اتخاذ العهد المدلول عليه بالاستفهام، ونفي الإخلاف؛ لأن معنى الإنكار في الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا<sup>(١)</sup>.

الطريقة الثانية في الرد عليهم: إبطال قولهم من خلال التعبير بحرف الجواب في بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: ٨١]، بعدها، فجاءت (بلى) لتكذيبهم والرد عليهم، أي: ليس الأمر كما تقولون، بل أنتم تمسكم النار مدة طويلة.

(١) ينظر: نظم الدرر، ١/١٧٨.

**ثالثها:** قوله: **مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** [البقرة: ١٠٥]، الآية واردة في سياق نهي المؤمنين عن الركون إلى أهل الكتاب وترديد أقوالهم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [البقرة: ١٠٤]، وتعليل ذلك النهي بأنهم لا يودون الخير للمؤمنين حقدا وحسدا وكرهية، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ذلك<sup>(١)</sup>، ثم بين أن نعم الله تعالى لا تدرك بالأمانى، إنما هي مواهب منه يختص بها من علم أنه حقيق بها من خلقه، فقال: **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**؛ تعريضا بمجتمع اليهود، وكشفا عن سبب عدم إيمانهم بالقرآن، والإعراض عنه، وقولهم البهتان، وبيان أنه سبحانه وحده هو المتحكم في أمر إنزال كتبه وإرسال رسله، والمتفضل به ابتداء، وأنه يختص به من يشاء، وليس لغيره شأن في ذلك ولا تأثير، ولهذا جاء التذييل **وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وهو ذو الفضل العظيم)؛ لوجود مرجع قريب للضمير، لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم **وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**؛ زيادة في تقرير وتمكين اختصاصه سبحانه بذلك، وعدم إمكانية

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٤٧٠/٢، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

تغييره أو تبديله حسب الأهواء، وفي ذلك أيضا ما فيه من التعريض باليهود والنعي عليهم بمخالفة مراده تعالى في اصطفاء النبي الخاتم من ولد إسماعيل.

**رابعها:** قوله: **مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** [البقرة: ١٠٦-١٠٧]، حيث أظهر الاسم الأعظم في ثلاثة مواضع من الآية؛ إذ الآية مفتوحة بضمير المتكلم (ما ننسخ)، فكان مقتضى الظاهر أن يسير النظم على هذ النمط من الإضمار وتكون العبارة (ألم تعلم أي أو أننا... ألم تعلم أن لي أو أن لنا ملك السماوات والأرض... وما لكم من دوني أو من دوننا من ولي ولا نصير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر في موضع الإضمار؛ لتقرير وتمكين حكمة النسخ الذي استبعده مجتمع اليهود وتذرعوا به لتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أنه غير مفارق لتعويض المنسوخ بخير منه أو بمثله من خلال الإحالة على قدرة الله تعالى التي لا يشذ عنها ممكن، وعلى سعة ملكه المشعر بعظيم علمه، وعلى حاجة المخلوقات إليه، إذ ليس لهم من رب سواه، ولا من ولي دونه؛ لأن التصدي للبيان أمر لم تنهياً له العقول بعد، ومن ثم فإن تفصيله يفتح باب الجدل في إثبات المصلحة حسب اختلاف القرائح وتفاوت الفهوم، فالخروج من ضمير المتكلم المعظم نفسه، إلى الاسم الظاهر (الله) لأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات، وفي ضمنه صفة القدرة، فهو أبلغ في نسبة القدرة إليه من ضمير المتكلم المعظم، فلذلك عدل عن قوله: (ألم تعلم أننا) (إلى







تقرير خصوصية الإثم على من بدّل (مجتمع المبدلين فقط)، فضلا عما فيه من زجر عن التبديل بشكل عام، وتحذير منه، وترهيب من عاقبته، وهذا ما يؤكده التذييل بـ إِنَّ □ □ □ .

عاشرها، قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْأَبْرِبَانُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْأَبْرِبَانَ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [البقرة: ١٨٩]، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنه من اتقى...)، لكن النظم عدل عن ذلك، وأظهر لفظ البر؛ زيادة في تقرير وتمكين نفي أن يكون البر مقصورا على دخول المحرمين بالحج والعمرة بيوتهم من ظهورها، ولهذا أظهره مسندا إليه محكما عليه بأنه (البر) في تقوى الله واتباع شرعه وما فيه مرضاته واجتناب خطوات المبتدعين الذين زادوا في الحج ما ليس منه، فالبر فقط في تقوى الله تعالى بامتنال ما أمر، واجتناب كل ما نهى، ولذلك ختمت الآية بالأمر بتقواه وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وفي الآية موضع آخر وضع فيه المظهر موضع الضمير؛ حيث كان مقتضى الحال أن يكون التعبير في قوله " وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا " (وأتوها من أبوابها) لتقدم ذكر البيوت؛ لكنه عدل عن ذلك؛ زيادة في تقرير المعنى وتمكينه في النفوس، ببيان أن البر المأمور به إتيان البيوت - كل البيوت - من أبوابها.

**حادي عشر:** قوله: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** [البقرة: ٢١٤]، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... متى نصر الله ألا إن نصره قريب)، لكنه عدل عن ذلك فأظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار؛ زيادة في تقرير وتمكين قرب نصره سبحانه في نفوس المجتمع المؤمن - "بعد أن حصل لهم من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعباً - إكراماً لهذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسه مبلغ ما مس من قبلها، وإكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألا يحتاج إلى قول ما قالته الرسل قبله من استبطاء نصر الله، بأن يجيء نصر الله له ولأمته قبل استبطائه، فالجملة إجابة لهم طلبهم تعجيل النصر، وإعلاماً بقربه<sup>(١)</sup>، وبأن الله سبحانه وتعالى إنما يفرج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبهم للتقوى، فتتقدس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلق ضمائرهم بالله تعالى وحده...<sup>(٢)</sup>، فضلاً عما فيه (بمفهوم المخالفة) من التحذير من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة بسوء عملهم، تلاقياً مع سياق العبرة والموعظة.

(١) ينظر: البحر المحيط، ١٤٩/٢.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ٣٩٧/١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

ثاني عشر: قوله: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٤٧]، الآية في سياق الحديث عن صفات اليهود واختلال الموازين عندهم، ومقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق به منه... والله يؤتي ملكه من يشاء وهو واسع عليم)، لكن النظم عدل عن ذلك ووضع المظهر في موضع المضمرة في الموضعين؛ للتقرير وتمكين المعنى، فقد عبر بالاسم الظاهر (الملك) في (ونحن أحق بالملك منه)؛ زيادة في تقرير وتمكين وتأکید إنكار مجتمع اليهود اختيار الله تعالى طالوت ملكا عليهم؛ لأن موازين الأمور عند قادتهم مختلفة، فهم فضلا عن سعيهم إلى الملك ورغبتهم في السيادة، ورؤيتهم أنهم أولى بالولاية مع قصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك، وأن شأن الملك عندهم أن يكون ذا مال، ولهذا أنكروا ملك طالوت عن طريق الاستفهام الإنكاري (أنى يكون له الملك علينا؟)، ولتأكيد إنكارهم ملك طالوت أتوا بمقابل ذلك وأكدوا أحقيتهم به، وزيادة في تأكيده وتقريره وتمكينه الدال على تمكنه في نفوسهم أظهروه في موضع الإضمار فقالوا: (... ونحن أحق بالملك منه) معللين ذلك بقلة ماله وأن شأن الملك عندهم أن يكون ذا غنى (ولم يؤت سعة من المال)، قائلين كلام من تعنت

وحادَ عن أمر الله، وهي عادة بني إسرائيل<sup>(١)</sup>، ومن ثم جاء الرد عليهم ببيان أن مناط الأمر في شأن الولاية والسيادة إنما هو اصطفاء الله له على بني إسرائيل (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) بما أعطاه من السعة في العلم - وهو الوصف الذي لا شيء أشرف منه - ومن بسطة الجسم، فإن لذلك عظماً في النفوس وهيبة وقوة<sup>(٢)</sup>، وأن هذا كله بيد الله وحده (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ)، وزيادة في تقرير وتمكين ذلك وإبلاغاً في تأكيده أظهر الاسم الأعظم مرتين مع أن الأصل الإضمار لوجود ما يعود عليه الضمير، فقال: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

ثالث عشر: قوله: فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أُغْرَفَ غُرْفَةً بِيَدِي فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَرُمٍ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ٢٤٩]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وهو

(١) ينظر: نظم الدرر، ٢/٢٦٦.

(٢) ينظر: السابق، ٢/٢٦٧.

مع الصابرين)، لكن النظم عدل عن ذلك، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في موضع الضمير؛ زيادة في تقرير وتمكين دور الصبر في نصر المجتمع المؤمن، حتى مع قلة العدد، مبالغة في حض المجتمع المؤمن عليه، وتأكيدا لمعية الله تعالى للصابرين، فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

المطلب السابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمرة  
للتنبية على الترتيبية وعلية الحكم، أو مناسبة استقلال الجملة بمدلولها.

أ) يأتي وضع المظهر موضع المضمرة في الكلام الفصيح؛ احتياطاً؛ للتنبية على  
الترتبية وعلية الحكم وبيان سببه، وقد جاء في سورة البقرة في عشرة مواضع في  
الآيات: (٢٧، ٣٨، ٥٩، ٨٩، ٩٠، ١٧٦، ١٨١، ١٩٠-١٩١، ٢١٣،

٢٣٣) أولها: قوله: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ  
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ [البقرة: ٢٧]، الآية واردة في سياق الحديث عن صفات  
الفاسقين من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، ومن أهم وأشهر هذه الصفات  
أنهم ينقضون عهد الله، ويخالفون أوامره، ويسعون بالفساد والإفساد في الأرض،  
كما حكمت الآية عنهم ذلك، وقد كان مقتضى الظاهر في الآية أن تكون  
العبارة (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر به أن  
يوصل...، أو ما أمرهم به...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر  
الاسم الأعظم (الله) في موضع الإضمار؛ للتنبية على ترتبية فعلهم هذا (قطع  
ما أمر (الله) العظيم بوصله) وسببته فيما جاء بعده من الحكم عليهم بالخسران.

ثانيها: قوله في قصة آدم عليه السلام: قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ  
مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: ٣٨]،  
حيث سبق في الآية ذكر (الهدى) في (فإمّا يأتينكم مني هدى)، وكان  
مقتضى الظاهر أن تأتي العبارة (فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبعه فلا

خوف...)، لوجود ما يصح أن يعود إليه الضمير، لكن النظم وضع المظهر (هداي) موضع المضمّر **فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**؛ ليظهر للمتلقّي علة ما ترتّب على اتباع هدى الله سبحانه، من نفي الخوف الذي هو كناية عن نفي العذاب والعقاب، ونفي الحزن الذي هو كناية عن إثبات الثواب، وبيان كون مجتمع المؤمنين راسخين في الهداية، هذا ما أفاده إظهار لفظ (هداي) في موضع الإضمار وإضافته إلى الله تعالى، ولو جاء النظم بالإضمار لما احتتمل هذه الدلالة، قال الشهاب نقلاً عن الطيبي: "وضع المظهر موضع المضمّر للعلية؛ لأن الهدى بالنظر إلى ذاته واجب الاتباع، وبالنظر إلى أنه أضيف إلى الله إضافة تشريف أخرى وأحق أن يتبع<sup>(١)</sup>".

**ثالثها:** قوله: **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** [البقرة: ٥٩]، إذ المقام يقتضى الإضمار وأن تكون العبارة (فأنزلنا عليهم رجزاً...)، ولكنه عدل عن ذلك وأظهر (الذين ظلموا) مع وجود مرجع واضح للضمير؛ لبيان عليه الحكم بكون مجتمع اليهود راسخين في الظلم، وبكون ظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاحها سبباً لإنزال الرجز (العذاب) عليهم؛ إبلاغاً في تقبيح أمرهم، وهذا ما أكده تذييل الآية **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**، المنبئ عن استمرار ظلمهم وفسقهم، قال الألوسي في بيان سر الإظهار: "وضع المظهر موضع الضمير

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٤١/٢.

مبالغة في تقييح أمرهم، وإشعارا بكون ظلّمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتها، أو وضعهم غير المأمور به موضعه سببا لإنزال الرجز...<sup>(١)</sup>، وفي ذلك تحذير شديد للمجتمع من الظلم والانحراف عن شريعة الله سبحانه.

**رابعها:** قوله: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** [البقرة: ١٧٩]، في سياق الحديث عن اليهود، وبيان أنهم مع إيمانهم بنبيهم موسى عليه السلام إلا أنهم لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بما كانوا يعرفون أنكروا نبوته، وكفروا به، فحقت عليهم لعنة الله تعالى؛ لدخولهم بسبب كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم في عداد الكافرين المستحقين لعنة الله، وقد كان مقتضى الظاهر أن يأتي التعبير عنهم بالضمير (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله عليهم)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر (الكافرين) في مقام الإضمار؛ تسجيلا على مجتمع اليهود بالكفر وعلى فعلهم بأنه من أفعال الكافرين؛ لبيان عليّة استحقاقهم اللعنة من الله سبحانه بسبب كفرهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أسماه كفرا، ليبين للمجتمعات والأفراد والأمم أن من كفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من الكافرين المستحقين الطرد من رحمة الله، وإن آمنوا بما جاء به من قبله من الأنبياء، وفعلوا ما فعلوا من الصالحات،

(١) روح المعاني للآلوسي، ١/٢٦٧.

إشعاراً بأن علة لعنهم أنهم كافرون<sup>(١)</sup>، وأن ما حُكي عنهم وما نُسب إليهم من أعمال الكفرة، وإيداناً بأن مدار العذاب كفرهم ذاك، فضلاً عن ذمهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك الكافرين، وأن أعمالهم من قبيل الكفر، قال أبو السعود: "وضع المظهر موضع المضمّر للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء للإيدان بترتيبها عليه...<sup>(٢)</sup>، فاليهود لما بالغوا في الكفر والعناد وكتمان أمر الرسول، ونعى الله تعالى عليهم ذلك، صار الكفر كأنه صفة غير مفارقة لذكرهم، وكأن هذا الكلام لازم لذكرهم ورديفه، وأنهم أولى الناس دخولا فيه؛ لكونهم تسببوا لاستجلاب هذا القول في غيرهم<sup>(٣)</sup>."

خامسها: قوله بعدها: **بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِذَنبِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** [البقرة: ٩٠]، الواردة (كما سبق القول) في سياق الحديث عن تشديد الحال على اليهود ونعي حالهم إذ إنهم باءوا بغضب مضاعف في الدنيا **فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ**، فضلاً عما ينتظرهم من العذاب المهين في الآخرة، ولهذا أظهرهم في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...ولهم عذاب مهين)؛ إشعاراً أن كفرهم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو علة كون العذاب المهين

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/١٢٩.

(٢) تفسير أبي السعود، ١/١٢٩.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ١/٣٢٠.

لهم وسببه، وبيانا أن إيمانهم بموسى أو غيره ممن جاءوا قبله أو بعده من الأنبياء عليهم السلام من دون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لن يجدي شيئا، ولن ينقذهم من غضب الله تعالى وعذابه المهين، قال أبو حيان: "وأقام المظهر مقام المضمّر إشعارا بعلّة كون العذاب المهين لهم، إذ لو أتى، ولهم عذاب مهين، لم يكن في ذلك تنبيه على العِلَّة<sup>(١)</sup>"، عِلِّيَّةٌ وَتَرْثِيَّةٌ استحقاقتهم لهذا العذاب المتراكب، الذي حُكِمَ به عليهم، المتمثل في الغضب العظيم المستفاد عظمه من تنكيره، والمفاد تراكمه من تكراره مُتَكَرِّرًا (فبأءوا بغضب على غضب)، ثم العذاب المهين بعد هذا الغضب العظيم المتراكب (وللكافرين عذاب مهين)؛ إذ إنهم لم يكتفوا بالكفر بما أنزل الله فقط، بل تجاوزوا ذلك إلى حسد من اختاره الله سبحانه، والتعدي على الاصطفاء نفسه، على اختيار الله للرسالة الخاتمة نبيا من العرب، ولم يقبلوا ذلك حقدا وحسدا، فكأنهم نازعوه في كونه (فعال لما يريد)، وفي كونه يصطفي من عباده من يشاء، ومن ثم كان إظهار لفظ الجلالة (الله) هنا؛ تسجيلا عليهم؛ لبيان استحقاقتهم هذا الكم المتراكب من الغضب في (فبأءوا بغضب على غضب)، وما تلاه من عذاب عظيم شديد يعرفهم قدرهم وحدودهم، وينزلهم مكانهم اللائق بهم (مهين)، فضلا عن ذمهم، وتسفيه رأيهم، وبيان داعيهم إلى الكفر؛ إذ رضوا لأنفسهم الكفر بما كانوا يبشرون به من الاستفتاح بالنبي الخاتم، والاستنصار به قبل بعثته، وبعد بعثته كفروا به،

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٤٩١/١.



موضع المضمرة للدلالة على عملية التبديل للإثم، وإيثار صيغة الجمع مراعاة لمعنى من، وفيه إشعار بشمول الإثم لجميع الافراد<sup>(١)</sup>.

**ثامنها:** قوله: وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ [البقرة: ١٩٠-١٩١]، تتحدث الآيات عن المحاربين من الكافرين الذين جمعوا بين الكفر وقتال المسلمين، وبينت أن الأمر بالقتل هنا لا بد أن يتحقق فيه الشرطان: الأول: قتالهم المؤمنين المأخوذ من قوله: وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، والثاني: الكفر الذي أفاده قوله: كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، وهذا ما أفاده وضع المظهر (الكافرين) موضع الضمير؛ إذ لو جاءت العبارة بالإضمار (كذلك جزاؤهم) لما كانت هناك قرينة على الشرط الثاني (الكفر) في الأمر بالقتل، ولانصرف إلى كل من يقاتل مسلماً، وهذا ما لم يقصده النظم هنا، بل ما نحت عنه الشريعة، ومن ثم كان وضع الظاهر موضع الضمير هنا احتياطاً؛ لبيان الترتيبية وعلية الأمر بالقتل (فاقتلوه) وبيان أن سببه اجتماع الكفر والمحاربة فيهم.

**تاسعها:** قوله: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ

(١) ينظر: روح المعاني للأوسى، ٤٥٢/١.

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة: ٢١٣]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة؛ احتياطاً؛ لبيان أن هداية الذين آمنوا إلى الحق - التي كانت بإذن الله - مترتبة عن مشيئته سبحانه، وأن مشيئته سبب هدايتهم، فضلاً عما في إظهاره من تفخيم أمر هدايتهم وتعظيمه، إبلاغاً في الحث على الثبات عليه، واستشعاراً لهذه النعمة، وشكراً للمنع بها.

عاشرها: قوله: **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [البقرة: ٢٣٣]، في بيان أحكام الرضاع والنهي عن مضارة الوالدة ولدها بالتفريط أو التقصير في حقه، وعن مضارة الوالد ولده كذلك بنزعه من والدته أو غير ذلك، ولهذا جاء التعبير بلفظ (الوالد)، (بولدها)، (بولده) في الموضعين، وبإضافته لهما (الوالدة)، (المولود) له؛ استعطافاً لهما، وفي قوله: (ولا مولود له بولده) إظهار في موضع الإضمار؛ إذ المقام يقتضي أن يضم (ولا مولود له به) لتقدم ذكر الولد؛ لكنه عدل عن ذلك وأظهر؛

"للإشارة إلى ما هو كالعلة في الحكم<sup>(١)</sup>"، فكون الطفل ولدها، أو كونه ولده  
أدعى إلى البعد عن كل ما يضره.

---

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ١/٢٤٠.

## الخاتمة:

الحمد لله، وصلاة وسلاماً على خير خلقه ومصطفاه، وبعد، فقد حملت هذه الورقيات شيئاً من الدراسة لخصيصة من خصائص العربية في (سورة البقرة) من سور بياتها المعجز (القرآن الكريم)، هي خصيصة (الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمّر، التي بلغت إجمالي شواهدا في السورة الكريمة واحدا وتسعين شاهدا؛ يقينا أن معايشة النظم العالي في هذا اللسان، وإنعام النظر فيه يهدي إلى نتائج تساعد في فقه بيان العربية وتدوقه، أهمها ما يلي:

● أكّد البحث أن الاحتياط للمعنى النصي أسلوب أتبعه العرب لتحقيق أغراض متعددة.

● كما أكد أن وضع المظهر موضع المضمّر من وجوه الاحتياط للمعنى عند العرب.

● أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمّر يأتي لتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوّج، وصونه من كلّ ما يُوهم النقص.

أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمّر يأتي لتحقيق أغراض متعددة، منها: تمكين المعنى وتوكيده، والتعظيم، والتحقيق، وإزالة اللبس، والترغيب والتحذير والتهديد، والتنبيه على عليّة الحكم إلخ.

## المصادر والمراجع:

- ١- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/مايو ٢٠٠٢م.
- ٢- البحر المحيظ في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٣- ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص للباحث: فائز طه عمر، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد - العراق.
- ٤- البيان والتبيين، الجاحظ، تقديم علي أبو ملح، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.
- ٥- تحرير التحرير لابن أبي الأصبغ المصري، تحقيق د/حفني محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٥هـ.
- ٦- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون.
- ٧- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٨- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٩- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، بدون.
- ١٠- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- ١١ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ١٣ - شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم، محمود توفيق سعد، طبع دار الوفاء للطباعة - شبين الكوم - ط الأولى ١٤٢٢ هـ.
- ١٤ - شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون، طبع دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٥ - متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير، عبد الهادي أحمد سيد عبدالعال، "ماجستير" مخطوط في كلية اللغة العربية بأسبوط ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.
- ١٦ - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق د/ عبد الحميد هندأوى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٧ - مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ١٦٧، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٨ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، بدون
- ١٩ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

## References

- Al Aalam, Al Zerekli, Dar El elm Llmlaein, Altabaah Aluola Ayar/ Mayo 2002.
- Al Bahar Al Moheyt Fi El tafseer, Abo Hayan Al Andalsy, El Mtawafa (745 H) Tahkak Sedki Mohamed Jameyl, Dar Al fker – Bayruot, 1420 HBay.
- AL Bayan We altabyyen, Al gahez, Takdeym Ali Abo Melhem, Dar Wa Maktabat El helal – Bayruot- Lobnan,2002.
- Tahrer Eltahbeer, ebn Aby El Esboaa Al mesry, Tahkek hfny Mohamed SHaraf, Tafaa El magles El aala LLshuoon El Eslameyah – Alqaherah 1416 H- 1995m.
- Tafseyr Abi El Sauwod, El Mutwafaa (982H) , Dar Ehiaa Eltirath El Arabi – Bayruot, Bedwun.
- Tafseyar El Raageb El Asfhani, El motwafa (520H), Tahkek Wa DErasaah Mohamed Abd El azez Basyuoni, El Nasher Kuleyat El aadab – JamEaat Tanta, EltaBAAh El wuolah, 1420H- 1999m.
- Jamee EL Bayan Fi Taweyl El quoraan, Mohamed Ebn Jarer El Tabary, El Motwafaa (310H), Tahkek: Ahmed Mohamed SHaker, Muoasasst El RESalah, El Tabaah El Oulahk 1420H – 2000M.
- Ebn Jenny Blaghyaa Fi Ketaab Elkhsaeys, Faeyz Taha Omar, Bahth Manshuor Fi Mgallat Kuleyyat ELaadab Jameaat Bagdad- El Eraq.
- Hasheyat El Shehab Ala Tafseyr El Baydawuy, Dar Sader – Bayruot, Beduon Tareykh.
- El takhasaees Abuo Elfatehe Ebn Jenny, Tahkek Mohamed Ali El Najjar, El Tabaa Eltha lethah, Elhaeyaah El Masreyyah Elaamah Lketab, 1408H- 1992M.
- Dalayel El Eajaz, Abdulqaher El Juorjany, Tahkek Mahmud Mohamed Shaler, Matbaat El Madani Be Jedaah, El Tabaah Elthaleshah 1413H- 1992m.
- Ruoah El Maani Fe Tafssyer Elquoraan El Aazeym Wal sabaa El Mathani, Elaaluosi, El Muotwafa (1270H), Tahkek Ali

- Abdelbary Ateyah, Dar El Kotob El Elmeyah – BayruotK El Tabaah El Uolaah, 1415H.
- SHazrat El Th hab Derasah Arabeyaah Fe Bayaan El Quoraan El Kareym, Mahmuod Tawufeeq saad, Tabaa Dar El Wafaa Lltebaaah- Shebeyen El kuom, Eltabaah Eluolaah 1422H.
  - Sharh Deywan El Hamasah, Abuo Ale El Marzuoqi, Nashrah Ahmed Ameyn Wa AbdEl salam Haruon, Tabaa Dar El Jeyel, Baeyruot, El Tabaah El Uolaah 1411H- 1991M.
  - Muotshabeh El Nazem El QuorAAAny Bayen El Taqdeym Wa El Takh eeyr. Abdelhady Ahmed sayed, “Majesteyr” Makhtuot fe Kuolleyat Ellughat El Arabeyah Basyuot 1423H- 2003M.
  - Al Muohkam WA Al Muoheyt El aazam Lebn Seedah (t 458H) Tahkek Abdelhameyd Hendawy, Dar El Kuotob El Elmeyah, Baeyruot – Luobnan, El Tabaah El Auoah 1421H- 1999M.
  - Muokhtaar EL Sahah LL Razey (T 666H), Tahkek yuosef El Sheykh MohamEd,El Maktabah El aasreyah –El Dar El Namuozejyah, Bayruot – Saedaa. El Tabeaah El khamesah, 1420H- 1999M.
  - El Mesbaah El Muoneyr Fe khareyb El Shareh El Kabeeyr, El Maktabaah El elmeyah- Bayruot, Beduon.
  - Nazem El Duorar Fe Tanasob El Aayaat Wal Souar LL Beqaeey, Kh arraj Aayatehe Wa Ahadethehe Wa Wadaa hawaasheehe Abdulrazeq khaleb El Mahdy- Tabaa Dar El Kuotob Al Elmeyah – Bayruot – Luobnaan, El Tabaah El uolaah 1415H- 1995M.

### شكر وتقدير:

هذا البحث مدعوم من عمادة البحث العلمي في جامعة حائل  
برقم (GR-22114)